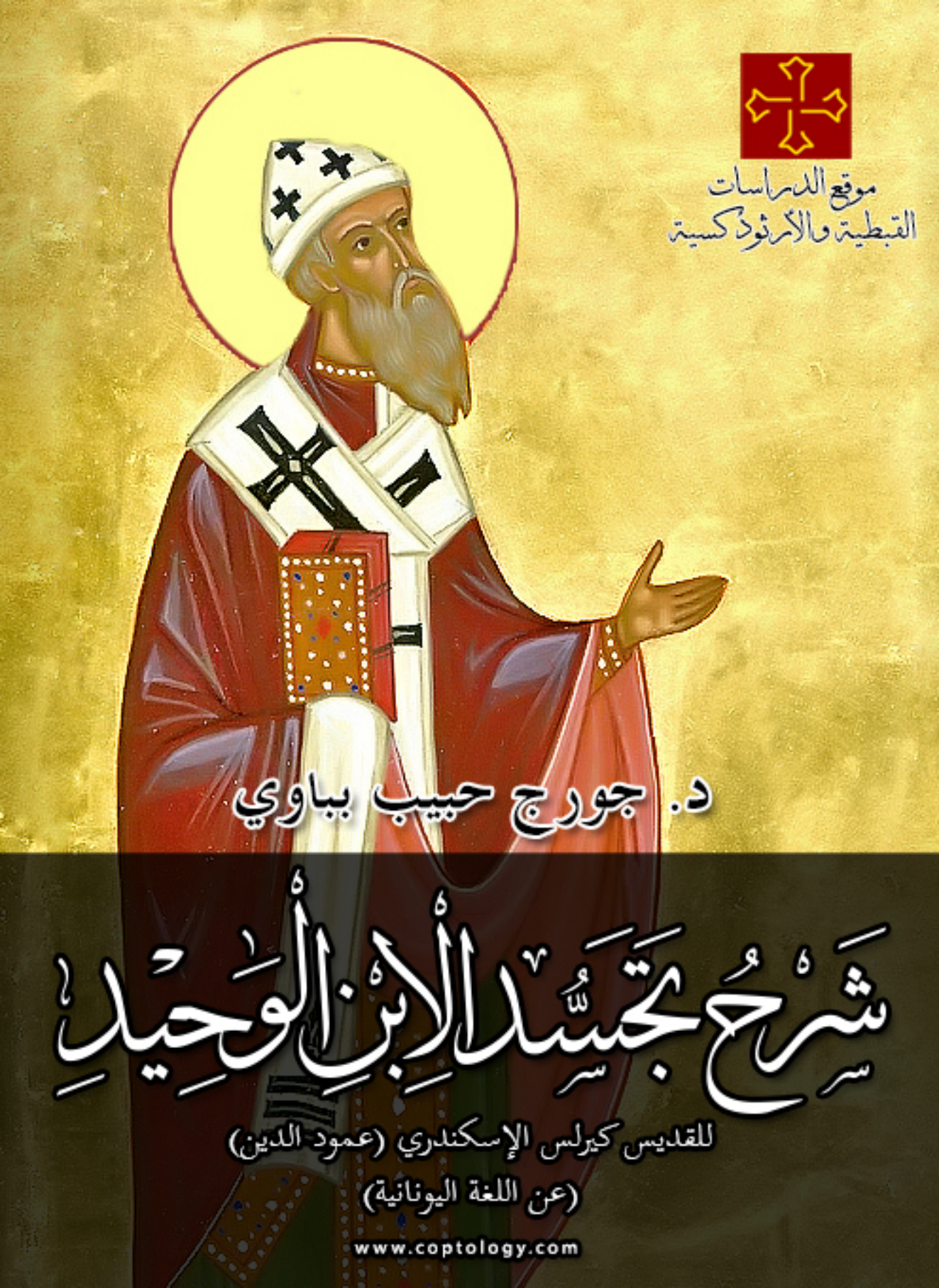

موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

شرح تجسد الابن الوحيد

للقديس كيرلس الإسكندري (عمود الدين)

(عن اللغة اليونانية)

www.coptology.com

Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

شَرحُ تجسُّدِ الابنِ الوحيدِ

للقديس كيرلس الإسكندري (عمود الدين)

(عن اللغة اليونانية)

ترجمة وتعليق دكتور

جورج حبيب بباوي

مايو ٢٠١٥

www.coptology.org

أيقونة الغلاف

جدول المحتويات

مقدمة **٤**

مؤلفات القديس كيرلس **٤**

أولاً: تفاسير الأسفار المقدسة ٤

ثانياً: الكتب اللاهوتية: ٤

كتابات القديس كيرلس باللغة القبطية: ٦

كتابات القديس كيرلس باللغة العربية: ٦

القيمة اللاهوتية لمقال شرح تجسد الابن الوحيد: ٦

شَرحُ تجسُّدِ الابنِ الوَحِيدِ **٩**

١- ما معنى كلمة "المسيح"؟ ٩

٢- كيف يجب أن نفهم "عمانوئيل"؟ ١٠

٣- من هو يسوع؟ ١٢

٤- لماذا دُعيَ كلمة الله إنساناً؟ ١٢

٥- كيف قيل إنَّ الكلمة أخلى أو أفرغ ذاته؟ ١٣

٦- كيف يكون المسيحُ واحداً؟ ١٤

٧- كيف يكون عمانوئيل واحداً؟ ١٥

٨- ما هو هذا الاتحاد؟ ١٦

٩- الجمرة: ١٨

١٠- الجسد الذي أخذه، له نفسٌ عاقلة. وأصبح جسد اللاهوت غير المجسَّم. وإذا فُصِلَ أيهما عن الآخر، فإننا –بالفصلِ– نلغي يقيناً ونهائياً، تدبير المسيح. ١٩

١١- الله الكلمة والطبيعة البشرية اتَّحدا معاً اتحاداً حقيقياً بدون تشويش. ١٩

١٢- الله الكلمة صار إنساناً. وهو ليس إنساناً تشرَّف بصلةٍ باللاهوت، كما أنه ليس إنساناً حصل على مساواة وكرامة وسلطان الله الكلمة حسب زعم البعض ٢٠

١٣- كلمة الله الذي صار إنساناً هو المسيح يسوع: ٢٤

١٤- براهين مِن الكتب الإلهية على أن كلمة الله وإن كان قد صار إنساناً، إلَّا أنه ظلَّ الله..... ٢٧

١٥- برهانٌ آخر ٢٧

١٦- وأيضاً... ..... ٢٨

١٧- المسيحُ ليس الله لَبِسَ جسداً، وليس كلمة الله الذي حلَّ في إنسان، بل الذي تجسد فعلاً حسب شهادة الكتب ٢٩

١٨- الأمثلة..... ٣٠

أقوالٌ رسوليةٌ تشهد على أنَّ المسيحَ هو الله..... ٣٢

أقوالٌ عن المسيح ٤٥

مقدمة

عندما انتقل البابا ثاوفيلس إلى العالم الآخر سنة ٤١٢م خلفه ابن شقيقته كيرلس على كرسي مار مرقس في نفس السنة. وبدأ كيرلس حياته الأسقفية بجهود رعائية ضخمة كان أهمها شرح إنجيل لوقا في عظات مسائية كل يوم في الإسكندرية. وفي سنة ٤٣١م رأس المجمع المسكوني الثالث الذي عُقِدَ لتأكيد تعليم الكنيسة الجامعة ضد نسطور. وقضى كيرلس حياته مؤلِّفاً لاهوتياً بارعاً إلى أن تنيح سنة ٤٤٤م.

مؤلفات القديس كيرلس

أولاً: تفاسير الأسفار المقدسة

وهي سبعة عشر كتاباً تحت عنوان العبادة بالروح والحق.. وثلاثة عشر كتاباً تُعرف بالتفاسير الأنيقة *GLAPHYRA*، وهي تغطي مختارات من كل أسفار العهد القديم، بقى منها الجزء الخاص بالأسفار الخمسة، وجميع الأنبياء الصغار، مع تفسير أشعياء، ثم شذرات من تفاسير المزامير من مزمور ١ إلى مزمور ١١٩. وفي العهد الجديد يُعد تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري أفضل تفسير في مكتبة الآباء على وجه الإطلاق. ثم ١٥٦ عظة على إنجيل لوقا احتفظت بها الكنيسة السريانية. ثم شذرات مختصرة لإنجيل متى، والرسالة إلى رومية، وكورنثوس الثانية، والعبرانيين، والباقي مفقود.

ثانياً: الكتب اللاهوتية:

– كتابان ضد الأريوسية، حمل الأول اسم الكنز في وحدة الثالوث القدوس، والثاني عن وحدة الثالوث القدوس، وهو عبارة عن سبعة كتب قَصَدَ منها تسجيل حوار بين كيرلس وبين

أحد الأشخاص لشرح إيمان الكنيسة. وقد كُتبت كلها قبل البدعة النسطورية أي ما بين ٤٢٣ – ٤٢٥.

– المقالات ضد نسطور، وهي ثلاثة كتب باسم الإيمان الصحيح. الأول موجَّه للإمبراطور ثيؤدوسيوس.

– الفصول الاثني عشر ضد نسطور، ثم مقالات ثلاثة للدفاع عن الفصول الاثني عشر.

– المقالات الخمس ضد تجديف نسطور، وهي أصلاً رد على مجموعة من عظات نسطور.

– الدفاع الموجه للإمبراطور ثيؤدوسيوس، وهو دفاع عن مجمع أفسس، وشرحٌ لِما دار فيه.

– مقالة شرح تجسد الابن الوحيد.

– مقالة عن المسيح الواحد.

– ضد الذين يجهلون أن العذراء والدة الإله.

– مقالة ضد ديودوروس وثيؤدور المصيصي.

– كتاب رد على الإمبراطور يوليانوس الجاحد، وهو ردٌّ على الكتب الثلاثة التي كتبها الإمبراطور بعنوان "ضد الجليليين".

– ٢٩ رسالة فصيحة كتبت ما بين سنة ٤١٤ – ٤٤٢.

– ٩٠ رسالة عقائدية في غاية الأهمية.

– ٢٠ عظة على قدر كبير جدا من الأهمية. ولعل أروعها العظة التي أُلقيت في كنيسة

السيدة العذراء أثناء انعقاد مجمع أفسس، وهي العظة الرابعة في هذه المجموعة والمعروفة باسم "تمجيد العذراء والدة الإله".

كتابات القديس كيرلس باللغة القبطية:

نشر *Budge* عظة واحدة باللغة القبطية الصعيدية عن "والدة الإله". وهناك عظة أخرى نشرها امليني عن الاحتمال والتسامح. ونشر العالم الألماني *CRUM* مجموعة أسئلة وأجوبة للقديس كيرلس مع الشماس أنثيموس، وهي ذات أهمية بالغة من الناحية العقائدية.

كتابات القديس كيرلس باللغة العربية:

وصلتنا الفصول الاثنا عشر ضد نسطور مترجمة عن السريانية ضمن الكتاب المشهور "اعترافات الآباء"، وبعضٌ من رسائل القديس كيرلس مترجمة أيضاً عن السريانية في نفس الكتاب. وعظة عن عيد الغطاس في مجموعة ميامر عن الأعياد السيدية مترجمة عن القبطية، ويبدو انها فعلا من قول كيرلس.

القيمة اللاهوتية لمقال شرح تجسد الابن الوحيد:

يطرح هذا المقال عدة أسئلة وضعها كيرلس بنفسه، وهي كيف نفهم: "المسيح"، "يسوع"، "عمانوئيل"، "الكلمة"؟ وهو هنا يشرح ألقاب وأسماء وصفات المسيح بطريقة لاهوتية سهلة.

ومن يراجع الفقرات الخاصة بشرح هذه الألقاب والصفات، سوف يكتشف أن لفظ "المسيح" ليس اسماً، وإنما صفة ليسوع تحدد عمله الخلاصي؛ لأنه يمسح كل الذين يؤمنون به بالروح القدس.

وعن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت يؤكد كيرلس دائماً أن الاتحاد سِرٌّ يفوق العقل البشري، وأنه من الصعب على اللغة البشرية أن تدرك كنهه، وكل ما يمكننا أن نقوله في هذا المجال هو أن الاتحاد ليس هو مصاحبة أو اتصال بين اللاهوت والناسوت، بل هو اتحادٌ حقيقي. ويلاحظ القارئ أن كيرلس لم يقل لنا ما هو الاتحاد، بل نفى الآراء الخاطئة. وهذا هو التيار الواضح في اللاهوت الشرقي المعروف باسم "اللاهوت السلبي – Apophatic Theology"، وهي تسمية ضعيفة في اللغة العربية، ذلك أن كلمة سلبي لها وقع مغاير لِما تعارف عليه الآباء. فالأسرار الإلهية لا يمكن شرحها أو إدراك كنهها.. وما يمكننا أن نقوله عنها هو أنها ليست كذا وكذا دون أن نقول ما هي.. هذا هو اللاهوت السلبي، وهو لاهوت يترك للنفس الإنسانية حرية البحث في ضوء الاختبار السري، وليس في ضوء المقولات العقلية، وهو بلا شك الطابع المميز للاهوت الشرقي الأرثوذكسي.

ولكن كيرلس لم يكتفِ بإعلان صعوبة إدراك حقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، بل قدَّم تشابيه وصفها هو بأنها مأخوذةٌ من الكتاب المقدس مثل الجمرة، والسوسنة، وخيمة الاجتماع. ومن الملاحظ أن التشبيه الأخير هو قلب تذاكية الأحد في الأبصلمودية القبطية. ولا يمكننا أن نقطع إذا كان كيرلس استعان بالتذاكية، أم هو الذي وضع التذاكية. والمقطع رقم ٣٢ يكاد يكون مأخوذاً بنصه من الأبصلمودية السنوية من تذاكية يوم الخميس. ومن يترجم هذا المقطع يستطيع أن يفهم إحساس المترجم عندما يشعر أنه أمام نص مقتبس عن غيره.

وقيمة كتاب "تجسد الابن الوحيد" بلا حدود. فكل عبارات هذه المقالة، خصوصا المتعلقة باتحاد اللاهوت بالناسوت، حتى عبارة القداس القبطي "وجعله واحداً مع لاهوته .."، هي من قلب لاهوت الإسكندرية، وقلب لاهوت كيرلس على وجه الخصوص. وقد أشرنا في الحواشي على قدر الإمكان إلى المصطلحات والتعبيرات الفنية الدقيقة التي أخذتها كتب الكنيسة القبطية عن كيرلس، أو التي وضعها كيرلس وخلفاؤه.

ونشر هذه المقالة هو بمثابة اكتشاف للخلفية التاريخية واللاهوتية لإيمان كنيستنا. ولسوف يأتي الوقت الذي يتأكد فيه للجميع أن القديس ديوسقوروس لم يخرج عن تعاليم أسلافه، بل تمسك بها في وجه العاصفة على الرغم مما أُشيع عنه من افتراءات.

نرجو أن تكون هذه الترجمة بداية نشر كل مؤلفات القديس كيرلس السكندري وغيره من الآباء.. ونرجو أن يغفر لنا كيرلس تكاسلنا عن دراسته ونشر تعاليمه المقدسة التي أنقذت الأرثوذكسية، وأنارت طريق الكنيسة عبر العصور.

شَرحُ تجسُّدِ الابنِ الوَحِيدِ

١ – ما معنى كلمة "المسيح"؟

ليس لِلفظِ "المسيحِ" قوةُ تعريفٍ، ولا يوضِّح جوهرَ شيءٍ ما، كما أن كلمة "رجل"، أو "حصان" أو "ثور"، أسماءٌ لا توضِّح شيئاً عن جوهر حامليها، بل تشير إليهم فقط. واسم "المسيح" يعلِنُ عن شيءٍ سوف نفحصه.

في القديم، حسب مسرة الله، مُسِحَ البعضُ بالزيت، وكانت المِسحةُ علامةً لهم على **المملكة**. والأنبياء أيضاً مُسحوا روحياً بالروح القدس، ولذلك دُعُوا "**مسحاء**"؛ لأن داود النبي المبارك ينشد معبِّراً عن الله نفسه فيقول: "ولا تمسوا **مسحائي** ولا تؤذوا أنبيائي" (مزمور ١٠٥: ١٥). وحبقوق النبي يقول أيضاً: "خرجت لخلاص شعبك لخلاص **مسحائك**" (حب ٣: ١٥). لكن بالنسبة **للمسيح مخلِّص الكل**، فقد مُسِحَ، ليس بصورةٍ رمزيةٍ مثل الذين مُسِحوا بالزيت، ولم يُمسَح لكي ينال نعمة وظيفة النبي، ولا مُسِحَ مثل الذين اختارهم الله لتنفيذ تدبيره، أي مثل قورش الذي مَلَكَ على الفارسيين والماديين، وقاد جيشاً ليستولي على أرض البابليين، حسبما حرَّكه الله ضابط الكل، ولذلك قيل عنه: "هكذا يقول الرب **لقورش مسيحي** الذي أنا أمسك بيده اليمنى" (أشعياء ٤٥: ١). ولا يجب أن ننسى أن الرجل (قورش) كان وثنياً، إلَّا أنه دُعيَ "مسيحاً" كما لو كان الأمر السمائي قد مَسَحَه ملكاً؛ لأنه بسبق معرفة الله قد نال قوةً لقهر بلاد البابليين.

إن ما نريد أن نقوله بخصوص **معنى كلمة "المسيح"**، هو ما سيأتي: بسبب تعدِّي آدم "ملكت الخطية على الكل" (رومية ٥: ١٤). وفَارَق الروحُ القدسُ الطبيعةَ البشريةَ التي صارت

مريضةً في كل البشر. ولكي تعود الطبيعة البشرية من جديد إلى حالتها الأولى، احتاجت إلى رحمة الله، لكي تُحسب بموجب رحمة الله، مستحقةً الروح القدس. لذلك **صار الابن الوحيد كلمة الله إنساناً**، وظهر للذين على الأرض بجسدٍ من الأرض، ولكنه **خالٍ من الخطية**، حتى فيه وحده **تُتوَّج** الطبيعة البشرية بمجد عدم الخطية، **وتغتني** بالروح القدس، **وتتجدد** بالعودة إلى الله بالقداسة. لأنه هكذا تصل إلينا النعمة التي بدايتها المسيح البكر بيننا. ولهذا السبب يعلِّمُنا داود النبي المبارك أن نرتل للابن: "أنت أحببت البر وأبغضت الإثم، لذلك **مسحك الله إلهك بزيت البهجة**"(مزمور ٤٥: ٧). فكأن الابن قد مُسِحَ كإنسانٍ بمديح عدم الخطية. وكما قلت إن الطبيعة البشرية قد مُجِّدت فيه، وصارت فيه مستحقةً للحصول على الروح القدس الذي لن يفارقها كما حدث في البدء، بل صارت مسرته (الروح القدس) أن يسكن فينا. لذلك أيضاً كُتب أن الروح القدس حلَّ بسرعةٍ[١] على المسيح واستقر عليه (يوحنا ١: ٣٢). فالمسيح هو كلمة الله الذي لأجلنا صار مثلنا، وفي صورة العبد، ومُسِحَ كإنسانٍ حسب الجسد، ولكنه كإله يَمسَحَ بروحه الذين يؤمنون به.

٢- كيف يجب أن نفهم "عمانوئيل"؟

الله الكلمة دُعيَ عمانوئيل؛ لأنه "أمسك[٢] بنسل إبراهيم "(عبرانيين ٢: ١٦)، ومثلنا "شاركنا في اللحم والدم "(عبرانيين ٢: ١٤)، وعمانوئيل تعني "**معنا الله**"[٣].ونحن نعترف بأن الكلمة الله هو معنا، **دون أن يكون محصوراً في مكانٍ ما**. لأنه أيُ مكانٍ لا يوجد فيه الله الذي يملأ كل الأشياء؟! وهو ليس معنا كما لو كان قد جاء لمساعدتنا، كما قيل ليشوع: "كما كنت مع موسى سوف أكون معك أنت أيضاً"(يشوع ١: ٥). ولكنه معنا؛ لأنه صار مثلنا، أي أخذ طبيعةً بشريةً، دون أن يفقد طبيعته (الإلهية)؛ لأن كلمة الله غير متغيِّر بطبيعته.

---

(١) يشرح القديس كيرلس في هذا النص من إنجيل يوحنا معنى حلول الروح القدس بشكل حمامة، أي الطيران السريع علامة على الشوق.

(٢) أمسك بنسل إبراهيم تعني ليس مجرد اتخاذ الجسد البشري، بل أن يُحسب مثل الناس؛ لأنه صار ضمن الناس.

(٣) يمكن ترجمة عمانوئيل إلى الله معنا، أو معنا الله حسبما يظهر من أصلها العبراني، إذ تأتي كلمة معنا قبل كلمة إيل. راجع:
Fohrer, Hebrew and Aramic Dictionary of the O. T. P. 33.

ولماذا لم يُدعَ الله "عمانوئيل"، رغم أنه قيل ليشوع: "كما كنت مع موسى سأكون معك"، ولم يُدعَ الله عمانوئيل، رغم أنه كان مع كل القديسين؟ والسبب هو أن كلمة الله أصبح معنا في الوقت الذي تحدث عنه باروخ: "هو أظهر ذاته على الأرض. وتحدث مع الناس، وأسس كل طرق التعليم، وأعطاه ليعقوب عبده ولإسرائيل حبيبه، لأنه هو إلهنا وليس آخر سواه"(باروخ ٣: ٣٥ – ٣٧). وكما يليق بطبيعته الإلهية، لم يكن "معنا" بالمعنى الذي تحدث عنه باروخ؛ لأن الفروق بين اللاهوت[١] والناسوت لا تسمح بالمقارنة بينهما، فما أعظم الفرق بين الطبيعتين. ولذلك يتكلم داود الإلهي عن العلاقة السرية التي كانت قبل التجسد، بين الله الكلمة، وبيننا، ويقول بالروح: "لماذا تركتنا يا رب. لماذا تحتقرنا في أزمنة الضيق"(مزمور ١٠: ١). أمَّا الآن، فهو لا يتركنا، بل هو معنا عندما صار مثلنا دون أن يفقد ما له؛ لأنه أمسك بنسل إبراهيم كما قلت، بل أخذ صورة العبد، ورآه البشر كإنسان يمشي على الأرض.

إن عمانوئيل و"المسيح" يُخصَّان الابن الواحد نفسه. فهو المسيح؛ لأنه **مُسِحَ مثلنا كبشر، وأخذ الروح للبشرية؛ لأنه الأول** وبداية الجنس البشري الجديد. وبالمثل، هو نفسه كإله، يَمسحُ بالروح القدس كل الذين يؤمنون به.

وهو عمانوئيل؛ لأنه صار معنا على النحو الذي شرحته، والذي يخبرنا به أشعياء: "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعى اسمه عمانوئيل"(أش ٧: ١٤). لأن العذراء القديسة حبلت بالروح القدس وولدت حسب الجسد ابناً، **عند ذلك فقط** دُعيَ المولود عمانوئيل. لأن غير المتجسد أصبح "معنا" عندما وُلِدَ. وقد حدث هذا طبقاً لما ذكره داود: "سيظهر الله إلهنا ولن يسكت"(مزمور ٥٠: ٢، ٣)، وهو أيضاً ما أؤمن أن أشعياء أشار إليه: "**أنا هو الذي يتكلم، هأنذا آتي**"(٥٣: ٦). لأن الكلمة قبل أن يتجسد، تحدث من خلال الأنبياء، ولكنه صار معنا متجسداً.

---

(١) يشرح القديس كيرلس "عمانوئيل "على أنه اسم الله عندما صار معنا بالجسد؛ لأنه معنا منذ بداية العالم، ولكنه أصبح معنا على نحو جديد فريد. ولذلك وضع كيرلس هذه العبارة لكي يدعِّم معنى: "الله معنا".

٣- من هو يسوع؟

إن تتابع تأمُلنا يُلزمنا أن نتحدث عن الواحد ابن الله، فالمسيح وعمانوئيل ويسوع **شخصٌ واحد**. والاسم "يسوع" جاء من الحقيقة: "أنه سيخلص شعبه من خطاياهم "(متى ١: ٢١). لأنه كما أن الاسم **عمانوئيل** يعني أن كلمة الله، بسبب ميلاده من امرأة، صار معنا، **والمسيح** دُعيَ كذلك؛ لأنه مُسِحَ مثلنا كبشر، هكذا أيضاً **يسوع** "لأنه خلَّصنا نحن شعبه"، وهذا الاسم يوضح أنه **الله بالحقيقة**، وربُّ الكل بالطبيعة. لأنه لا يليق أن تكون الخليقة ملكٌ لإنسان، بل من اللائق أن نقول إن كل الأشياء هي للابن الوحيد، حتى وهو في الجسد.

وربما اعترض البعضُ وقال إن شعب إسرائيل دُعيَ شعب موسى. على هذا نُجيب أن شعب إسرائيل دُعيَ شعب الله وهذا حقيقي. ولكن عندما تمرَّدوا على الله، وصنعوا العجل في البرِّية، حُرِموا من كرامة الانتساب لله، ورَفَضَ أن يدعوهم شعبه، بل تركهم لرعاية بشر. وهذا لا ينطبق علينا نحن خاصة يسوع؛ لأنه الله الذي به خُلقت كل الأشياء. وعن هذا قال داود: "**هو صنعنا** وليس نحن. ونحن شعبه وغنم رعيته"(مزمور ١٠٠: ٣) وهو نفسه يقول عنا: "**خرافي** تسمع صوتي وتتبعني"، وأيضاً: "**لي** خرافٌ أخر ليست من هذه الحظيرة ... ليكون الكل رعيةً واحدةً **لراعٍ واحدٍ**"(يوحنا ١٠: ٢٦ – ٢٧). وهو أيضاً أوصى المبارك بطرس: "سمعان بن يونا أتحبني؟ ارع حملاني"(يوحنا ٢١: ١٥).

٤- لماذا دُعيَ كلمة الله إنساناً؟

الكلمة الذي من الله الآب[١] دُعيَ إنساناً رغم كونه بالطبيعة الله؛ لأنه اشترك في الدم واللحم مثلنا (عبرانيين ٢: ١٤). وهذا جعل الذين على الأرض قادرين على مشاهدته. وعندما حدث ذلك[٢] لم يفقد شيئاً مما له[٣]. وإذ أخذ طبيعة بشرية مثلنا[١] لكنها كاملة، ظلَّ أيضاً الله

---

(١) أو المولود من الآب.

(٢) أي تجسد.

(٣) أي أُلوهيته.

ورب الكل؛ لأنه هو هكذا فعلاً وبطبيعته وبالحق مولودٌ من الله الآب رغم تجسده. وهذا ما يرينا إياه بوضوحٍ كافٍ، الحكيم بولس عندما يقول: "الإنسان الأول أرضى من الأرض، والإنسان الثاني الرب من السماء "(١كورنثوس ١٥: ٤٧). ورغم أن العذراء مريم ولدت الهيكل[٢] المتَّحد بالكلمة، إلَّا أن عمانوئيل قيل عنه، وهذا حق: "**من السماء**"؛ لأنه من فوق، ومولودٌ من جوهر الآب. وإن كان قد نزل إلينا عندما صار إنساناً، إلَّا أنه من فوق. وعن هذا شهد يوحنا: "الذي يأتي **من فوق** هو فوق الكل "(يوحنا ٣: ٣١). والمسيح نفسه قال لشعب اليهود: "أنتم من أسفل وأما أنا **فمن فوق**"(يوحنا ٨: ٢٣)، وأيضاً: "**أنا لست من هذا العالم**"، رغم أنه كإنسان، هو في العالم. إلَّا أنه أيضاً فوق العالم كالله. ونحن نذكر أنه قال علانيةً: "وليس أحدٌ صعد إلى السماء إلَّا الذي نزل من السماء ابن الإنسان ..."(يوحنا ٣: ١٣).

ولذلك نقول إن ابن الإنسان نزل من السماء، وهذا **تدبير**[٣] **الاتحاد**؛ لأن الكلمة وَهَبَ لجسده كل صفات مجده، وكل ما هو فائقٌ وخاصٌّ بالله.

٥- كيف قيل إنَّ الكلمة أخلى أو أفرغ ذاته؟

إن الله الكلمة بطبيعته كاملٌ من كل الوجوه، ومن ملئه يوزِّع عطاياه للخلائق. ونحن نقول عنه أنه أفرغ ذاته **دون أن يمس هذا بطبيعته**؛ لأنه عندما أفرغ ذاته لم يتغير إلى طبيعةٍ أخرى، ولم يصبح أقل مما كان عليه؛ لأنه لم ينقص شيئاً. هو غير متغيِّر مثل الذي ولده (الآب)، ومثله تماماً غير عرضة الأهواء. ولكن عندما صار جسداً، أي أنساناً، **جعل فقر الطبيعة الإنسانية فقره**، ولذا قال: "سأسكب من روحي على كل جسد (يوئيل ٢: ٢٨) ولقد تم هذا:

---

(١) أي مثل طبيعتنا.

(٢) شاع استخدام كلمة الهيكل للدلالة على ناسوت المسيح في كل الكتابات المسيحية منذ العهد الجديد.(راجع يوحنا ٢: ١٩-٢٠)، وهو تعبير هام يؤكد أن ناسوت المسيح هو مكان حلول الله.

(٣) تتكرر كلمة تدبير في هذه المقالة، وهي تعني أن هناك أموراً معينة قام بها المسيح مثل الجوع والعطش والألم ... إلخ، وكل هذه كانت جزءاً أساسياً في خطة الخلاص. أو كانت الخطة (التدبير) هي أن يكون للمسيح كل صفات الناسوت.

أولاً: لأنه صار إنساناً رغم أنه ظلَّ الله[١].

ثانياً: أخذ صورة العبد، وهو بطبيعته حُرٌّ كابن. وفي نفس الوقت، هو نفسه ربُّ المجد، ولكنه قيل أنه تمجَّد لأجلنا. هو نفسه الحياة، ولكن قيل عنه أنه أحيي، أي أُقيم من الأموات. وأُعطيَ سلطاناً على كل شيء، وهو نفسه ملك كل الأشياء مع الله الآب. أطاع الآب وتألم وما إليه ... هذه الأشياء تخصُّ الطبيعةَ البشرية، ولكنه جعلها له[٢] عندما تجسَّد لكي يكمِّل التدبير، ويبقى كما هو. وهذا ما تقصده الأسفار المقدسة بإفراغ الذات.

٦- كيف يكون المسيحُ واحداً؟

يكتب بولس الإلهي: "رغم أنه يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون في السماء وعلى الارض، ولكن لنا إله واحد الآب الذي به كل الأشياء ونحن منه، **وربٌّ واحد** يسوع المسيح الذي به كل الأشياء ونحن به" (١ كورنثوس ٨: ٥، ٦). وأيضاً يقول يوحنا الحكيم عن الله الكلمة: "وكل شيءٍ **به** كان وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان" (يوحنا ١: ٣). وجبرائيل المبارك يعلن البشارة المفرحة[٣] للعذراء القديسة قائلاً: "ها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمه يسوع" (لوقا ١: ٣١). فبولس الرسول الإلهي يعلن أن كل الأشياء **خُلقت بيسوع المسيح**. والإنجيلي الإلهي يؤكد قوة التعبير نفسه، ويبشِّر أنه **هو الله خالق كل الأشياء**، وهذا نطق حق. وصوت الملاك أيضاً يشير إلى أن يسوع المسيح **وُلِدَ حقاً** من العذراء القديسة. ونحن لا نقول إن يسوع المسيح كان مجرد إنسان، ولا نعتقد بالله الكلمة بدون طبيعته الإنسانية. بل نقول إنه **واحدٌ من اثنين**[٤] أي الإله المتجسد. هو نفسه وُلِدَ إلهياً من الآب؛ لأنه الكلمة وإنسانياً من امرأة

---

(١) راجع ثيؤطوكية الخميس: "لم يزل إلهاً أتى وصار ابن البشر، ولكنه هو الإله الحقيقي أتى وخلصنا".

(٢) أي تخصه.

(٣) الإنجيل.

(٤) راجع ثيؤطوكية الأحد حيث تردد الكنيسة صوت كيرلس عامود الدين وتقول: "واحد من اثنين، لاهوت قدوس بغير فساد مساو للآب وناسوت طاهر مساو لنا كالتدبير".

كإنسان[١]. وهذا لا يعني أنه وُلِدَ مرةً ثانية عندما قيل أنه وُلِدَ حسب الجسد، فهو مولودٌ قبل كل الدهور. ولكن عندما جاء الوقت لكي يكمل التدبير، وُلِدَ من امرأة حسب الجسد. وكما ذكرنا من قبل، كثيرون قد دُعُوا مسحاء، ولكن يوجد واحد فقط يسوع المسيح الذي به خلقت كل الأشياء. وهذا لا يعني بالمرة أن إنسان صار خالق كل الأشياء، بل يعني أن الله الكلمة الذي به خُلقت كل الأشياء، صار مثلنا واشترك في الدم واللحم (عبرانيين ٢: ١٤)، ودُعيَ إنساناً دون أن يفقد ماله (ألوهيته)، لأنه وإن كان قد صار جسداً، لكنه بالحقيقة خالق الكل.

٧- كيف يكون عمانوئيل واحداً؟

قيل عن الله الكلمة مرةً واحدة وإلى الأبد وفي آخر الدهور أنه صار إنساناً كما يقول بولس: "ظهر بذبيحة نفسه" (عبرانيين٩: ٢٦)، **وما هي هذه الذبيحة؟** هي جسده الذي كرائحة بخور ذكية[٢] لله الآب. فقد دخل مرةً واحدة إلى القدس، ليس بدم ماعز وتيوس، بل بدم ذاته (عبرانيين ٩: ١٢). وهكذا حصل للذين يؤمنون به فداءً أبدياً. وكثيرون قبله كانوا قديسين، ولكن ليس واحدٌ منهم دُعيَ "**عمانوئيل**"، لماذا؟ لأن الوقت لم يكن قد حان بعد ليكون هو معنا، أي أن يجيء إلى طبيعتنا عندما يتجسد، وذلك لأنه أسمى منكل المخلوقات.

واحدٌ إذاً هو عمانوئيل؛ لأنه هو الابن الوحيد الذي صار إنساناً عندما وُلِدَ جسدياً من العذراء القديسة. لقد قيل ليشوع: "سأكون معك" (١: ٥)، ولكن (الله) لم يُدعَ في ذلك الوقت عمانوئيل. وكان قبل ذلك مع موسى ولم يُدعَ عمانوئيل؛ لذلك نسمع (اسم) عمانوئيل:

---

(١) راجع التسابيح الكيهكية حيث نرتل مع كيرلس ونقول: "في حضن ابيه الممجد. فلنسبحه كإله ونمدحه مع امه كإنسان ..." الإبصلمودية طبعة ١٩١١ ص٩١. يا ليت الذين يتهموننا بالأوطاخية يخجلون ... راجع هذا الادعاء في كتاب "فلسفة الفكر الديني "للمؤلف الكاثوليكي جورج قنواتي مجلد ٢ ص ٣٢٨.

(٢) يظهر هنا بكل وضوح أثر التفسير الطقسي على لاهوت كيرلس، لأنه لا يوجد إشارة واضحة في العهد الجديد إلى ذبيحة المسيح كرائحة بخور، بينما تمتلئ الكتب الطقسية الشرقية بعبارات مماثلة لما يذكره كيرلس، راجع تذاكية الأحد: "شبَّهوا رئيس الكهنة بمخلصنا الصالح الذبيحة الحقيقية لمغفرة الخطايا، هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولةً ... فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة".

"معنا الله" الذي أعطي للابن، فلنعتقد بحكمةٍ أنه ليس معنا كما كان في الأزمنة السابقة مع القديسين؛ لأنه كان معهم كمعين فقط، ولكن هو معنا لأنه صار مثلنا، دون أن يفقد طبيعته؛ لأنه الله غير المتغير.

٨- ما هو هذا الاتحاد؟

بطرقٍ مختلفةٍ يحدث اتحادٌ. فالبعضُ، إذ يفترقون بسبب الاختلاف في الطبع والفكر، يقال عنهم إنهم اتحدوا باتفاق الصداقة، (وهذا يعني) ترك الأشياء التي اختلفوا عليها. وأحياناً نقول عن أشياءٍ معيَّنةٍ إنها اتحدت عندما تجمَّعت معاً أو اتصلت بطرقٍ مختلفة مثل وضعها معاً جنباً إلى جنب أو مزجها أو تركيبها.

لكن عندما نقول إن الكلمة الله اتحد بطبيعتنا، فإن **كيفية هذا الاتحاد هي فوق فهم البشر**. وهذا الاتحاد **مختلفٌ تماماً** عن الأنواع الأخرى التي أشرنا إليها. فهو اتحادٌ لا يوصَف وغير معروف لأيٍّ من الناس سوى الله وحده الذي يعرف كل شيء. وأيُّ غرابةٍ في أن **يفوق** (اتحاد اللاهوت بالناسوت) إدراك (العقل)؟ فنحن عندما نبحث بدقة عن أمورنا ونحاول إدراك كنهها، نعترف أنها تفوق مقدرة الفهم الذي فينا. **فما هي كيفية اتحاد نفس الإنسان بجسده؟** مَن يمكنه أن يخبرنا؟ ونحن بصعوبةٍ نفهم، وبقليل نتحدث عن اتحاد النفس بالجسد. لكن إذا طُلِبَ منا أن نحدد كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهو أمرٌ يفوق كل فهم، بل صعبٌ جداً، نقول أنه من اللائق أن نعتقد أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في عمانوئيل **هو مثل** اتحاد نفس الإنسان بجسده. وهذا ليس خطأً؛ لأن الحق الذي نتحدث عنه هنا تعجز عن وصفه كلماتنا. والنفس تجعل الأشياء التي للجسد هي لها رغم أنها (النفس) بطبيعتها لا تشارك الجسد آلامه المادية الطبيعية، أو الآلام التي تسببها للجسد الأشياء التي هي خارج الجسد. لأن الجسد عندما يتحرك مدفوعاً نحو رغباته الطبيعية (الجسدية)، فإن النفس التي فيه تعرف هذه الرغبات بسبب اتحاد النفس بالجسد. لكنها (النفس) لا تشارك الجسد رغباته، ومع ذلك تعتبر أن تحقيق الرغبة هو تحقيق لرغبتها هي (النفس)، فإذا ضُرِبَ الجسدُ أو جُرِحَ بالحديد مثلاً، فإن النفس تحزن مع

جسدها، ولكن بطبيعتها لا تتألم بالآلام المادية التي تقع على الجسد[١].

ومع هذا يلزم نقول إنَّ الاتحاد في عمانوئيل هو **أسمى من أن يشبَّه باتحاد النفس بالجسد**. لأن النفس المتحدة بجسدها تحزن مع جسدها، وهذا **حتمي** حتى أنها عندما تقبل الهوان، تتعلم كيف تخضع لطاعة الله. أمَّا بخصوص الله الكلمة، فإنه من الحماقة أن نقول أنه كان يشعر–بلاهوته– بالإهانات؛ لأن اللاهوت لا يشعر بما نشعر به نحن البشر. وعندما اتحد بجسدٍ له نفسٌ عاقلة وتألم، لم ينفعل –اللاهوت– بما تألم به، **لكنه كان يعرف ما يحدث له**[٢]. وأباد –كإلهٍ– كلَّ ضعفات الجسد، رغم أنه جعلها ضعفاته هو، **فهي تخصُّ جسده**. لذلك (بسبب الاتحاد) قيل عنه إنه[٣] عَطِشَ وتَعِبَ وتألَّم لأجلنا.

لذلك، فإن اتحاد الكلمة بطبيعتنا البشرية، يمكن على وجهٍ ما، أن يقارَن باتحاد النفس بالجسد؛ لأنه كما أن الجسد من طبيعة **مختلفة عن النفس**، لكن الإنسانَ **واحدٌ** من اثنين (النفس والجسد)، هكذا المسيحُ واحدٌ من الأقنوم الكامل لله الكلمة، ومن الناسوت الكامل، والألوهة نفسها والناسوت نفسه في الواحد بعينه، الأقنوم الواحد. وكما قلت إن الكلمة يجعل الآم جسده آلامه هو؛ لأن الجسد هو جسده، وليس جسدُ أحدٍ آخر سواه. **هكذا يمنحُ الكلمةُ جَسَدَهُ كلَّ ما يخص لاهوته من قوةٍ**، حتى أن جسده قادرٌ على أن يقيم الموتى ويبرئ المرضى[٤].

---

(١) استخدم كيرلس هذا التشبيه لكي يؤكد أن اللاهوت لم يتألم عندما صُلِب المسيح. ولكنه، أي اللاهوت، كان يعرف ماذا يحدث لجسده. وكيرلس في الفقرة التالية يؤكد أن كل التشبيهات قاصرة.

(٢) لعل التفرقة بين "يعرف"، و"يشعر" هي من أهم ما تعلِّم به الكنائس الشرقية الأرثوذكسية عن آلام ربنا.

(٣) يعبِّر كيرلس هنا عن التقوى الشرقية الأرثوذكسية بكل وضوح، إنَّ المتألم هو ربنا وليس لاهوته، ورغم أن الآلام تخص جسده إلَّا أنها تُنسب له كشخصٍ واحدٍ غير منقَسمٍ، وهو ذات ما صرح به القديس ديوسقوروس بطل الأرثوذكسية.

(٤) اتحاد اللاهوت بالناسوت يعني أن كل مَن يلمَس جسد الابن الوحيد بالإيمان، يحصل على كل ما يريده من الله (اللاهوت)، مثل المرأة النازفة الدم التي لمست طرف ثوب المسيح وبرئت؛ لان قوةً خرجت من المسيح. ولاحِظ أن الرب يؤكد حقيقة الاتحاد عندما قال: "قوة خرجت مني" (لوقا ٨: ٤٦)، ولم يقل من لاهوتي. هكذا شرح القديس كيرلس المعجزة .. ويؤكد الإنجيل في عدة مناسبات أن المعجزات كانت تتم بقوةٍ منه، راجع بدقة لوقا (٦: ١٨)، حيث يقول: "وجميع المعذَّبين بالأرواح النجسة كانوا يبرأون

وإذ يليق بنا في هذا المجال أن نستخرج تشابيه من الكتب الموحى بها من الله؛ لكي نوضح بعدة أمثلة كيفية الاتحاد، لذلك دعونا نتكلم من الكتب حسب طاقتنا.

٩- الجمرة:

قال النبي أشعياء: "وجاء إليَّ أحد السيرافيم وفي يده **جمرة متَّقدة** أخذها من على المذبح بملقط وقال لي: هذه ستلمس شفتيك لكي تنزع اثمك وتطهِّرك من خطاياك" (أش ٦: ٦-٧). ونحن نقول إن الجمرة المتقدة هي **مثال وصورة للكلمة المتجسد**؛ لأنه عندما يلمس شفاهنا، أي عندما نعترف بالإيمان به، فإنه ينقِّينا من كل خطية ويحرِّرُنا من اللوم القديم الذي ضدنا[١].

ويمكننا أن نرى أيضاً الجمرةَ مثالاً لكلمة الله المتَّحد بالطبيعة البشرية **دون أن يفقد خواصه**، بل حوَّل ما أخذه (الطبيعة البشرية) وجعله **متَّحداً به**، بل بمجده وبعمله. لأن النار عندما تتصل بالخشب تستحوذ عليه، لكن الخشبَ يظل خشباً .. فقط يتغير إلى شكل النار وقوتها، بل يصبح له صفات النار وطاقتها ويعتبر واحداً معها. هكذا يجب أن يكون اعتقادنا في المسيح؛ لأن الله اتحد بالإنسانية بطريقة لا يُنطق بها، ولكنه أبقى على خواص الناسوت على النحو الذي نعرفه، وهو نفسه لم يفقد خواص اللاهوت عندما اتحد به (الناسوت)، بل جعله واحداً معه، وجعل خواص (الناسوت) خواصه. بل هو نفسه قام بكل أعمال اللاهوت فيه (في الناسوت)[٢].

وكل واحد في الجموع كانوا يحاولون لمسه لأن قوةً كانت تخرج منه وتشفي الجميع". ما أبعد الفرق بين هذه النظرة الإنجيلية وبين النص المشهور في طومس لاون: "الواحد يشفي المرضى والآخر يتألم".

(١) فسَّر غالبية آباء الكنيسة الشرقية رؤية أشعياء على أنها إعلان نبوي عن الإفخارستيا، وكيرلس يؤكد هنا في هذا النص الجميل الذي يتضمن لمس المسيح للطبيعة البشرية بالاعتراف وبالإيمان به .. والإفخارستيا هي اعترافٌ بالمسيح بكل ما في كلمة اعتراف من معاني، كما أن التناول هو إيمانٌ بالمسيح لا يعادله أي شيء في حياة المؤمن.

(٢) نرى هنا الاساس الآبائي للعبارة المشهورة في الاعتراف الأخير قبل التناول، حيث يقول الكاهن القبطي: "وجعله واحداً معه بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". وإذا كانت هذه العبارة قد أُضيفت في حبرية البابا غبريال بن تريك، إلَّا أنها سكندرية وكيرلسية

١٠– الجسد الذي أخذه، له نفسٌ عاقلة. وأصبح جسد اللاهوت غير المجسَّم. وإذا فُصِلَ أيهما عن الآخر، فإننا –بالفصلِ– نلغي يقيناً ونهائياً، تدبير المسيح.

قدَّم لنا نشيد الأناشيد ربنا يسوع المسيح قائلاً: "أنا وردةُ السفوحِ وسوسنةُ الأودية " (نش ٢: ١).

وفي السوسنةِ، الرائحةُ المجسَّمة (غير ظاهرة للعين)، ولكنها لا توجد خارج السوسنة. ولذلك، فالسوسنةُ واحدةٌ من اثنين (الرائحة وجسم السوسنة). وغيابُ رائحة السوسنة، لا يجعلها سوسنةً. وكذلك غيابُ جسم السوسنةِ لا يُفسِّر وجود رائحة السوسنة؛ لأن في جسم السوسنةِ رائحتَها. هكذا يجب أن يكون اعتقادنا في ألوهية المسيح الذي يعطِّرُ العالمَ برائحتِهِ الذكية، ومجده الذي يفوق مجد الارضيات. ولكي يعطِّر العالم كله، **استخدم (اللاهوت) الطبيعة البشرية**. وتلك التي بطبيعتها غير جسمانية، صارت بالتدبير –وعلى قدر ما نفهم– متجسِّدة. لأنه عندما أراد أن يعلن عن ذاته من خلال الجسد، جعل فيه (الجسد) كل ما يخص اللاهوت. لذلك، من الصوابِ أن نعتقدَ أن الذي بطبيعته غير جسماني، اتَّحد بجسده، وأصبح الاتحادُ مثلَ السوسنةِ؛ لأن الرائحة العطرة، وجسم السوسنة، هما واحدٌ، ويسمَّيان السوسنة.

١١– الله الكلمة والطبيعة البشرية اتَّحدا معاً اتحاداً حقيقياً بدون تشويش.

إن خيمة الاجتماع التي أراد الله أن تقام في البرية، ترمز إلى عمانوئيل في أشياءٍ كثيرةٍ. الله إله الكل قال لموسى الإلهي: "اصنع أنت من خشبٍ لا يُسوَّس تابوتاً طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف، وتغشِّيه بالذهب النقي، من الداخل ومن الخارج تغشيه" (خروج ٢٥: ١٠ – ١١). الخشب الذي لا يُسوَّس هو رمزٌ للجسد الذي لا يفسد؛ لأن الأَرز لا يسوس. أمَّا الذهبُ، وهو يفوق كل الأشياء، فهو يشير إلى جوهر اللاهوت

وتعبِّر عن إيمان سليم.

الفائق[١]. لكن لاحظ، **كيف غطَّى التابوتَ كله بالذهب النقي من الداخل والخارج**؛ لأن الله الكلمة اتحد بجسد مقدس. وحسب ما أعتقد، فإن هذا ما يشير إليه تغشيةُ التابوتِ بالذهب من الخارج. والنفس العاقلة التي في جسده هي نفسه، وهذا ما يشير إليه تغشيةُ التابوت من الداخل. وهكذا لم يحدث تشويشٌ للطبيعتين؛ لأن الذهب الذي غطَّى به الخشب ظلَّ كما هو ذهبا. أمَّا الخشبُ، فقد صار غنياً بمجد اللاهوت، لكنه لم يفقد خصائصه كخشب

وببراهين كثيرة يمكننا أن نتأكد من أن التابوت يرمزُ للمسيح؛ لأنه **كان يخرج** أمام بني اسرائيل، وكان هذا سببَ عزاءٍ لهم، وهكذا قال المسيح في موضع معيَّنٍ: "أنا أذهب لكي أعد لكم مكاناً" (يوحنا ١٤: ٢).

١٢- الله الكلمة صار إنساناً. وهو ليس إنساناً تشرَّف بصلةٍ باللاهوت، كما أنه ليس إنساناً حصل على مساواة وكرامة وسلطان الله الكلمة حسب زعم البعض[٢]

يقول بولس الإلهي: "عظيمٌ هو سر التقوى" (١ تيموثاؤس ٣: ١٦)، وهذا حقيقي؛ لأن الله الكلمة ظهر في الجسد، و"**تبرر في الروح**"؛ لأننا لم نرَ فيه أي خضوع لضعفاتنا، رغم أنه لأجلنا صار إنساناً، إلَّا أنه بلا خطية. و"**شاهدته الملائكة**"، فَهُم لم يجهلوا ميلاده حسب الجسد و"**كُرِزَ به للأمم**" كإله صار إنساناً، وهو عينه "**أُومن به في العالم**"، وهذا ما برهنه بولس

---

(١) تفسير خيمة الاجتماع على هذا النحو موجودٌ عند الآباء قبل كيرلس، وبالذات إيريناوس وهيبوليتوس. ومَن يقرأ نص القديس كيرلس يشعر على الفور أنه كان يأخذ من كلمات ثيؤطوكية الأحد، حيث ترتل كنيستنا: "التابوت المصفَّح بالذهب من كل ناحية المصنوع من خشب لا يسوَّس سبق أن يدلنا على الله الكلمة الذي صار إنساناً بغير افتراق ... ". وشرعية تفسير الآباء قائمة على حقيقة أساسية هي أن كل ما هو متصل بظهور الله في العهد القديم قد تحقق بشكل أفضل وأكمل في العهد الجديد، عندما اتحد وحَلَّ في الهيكل الحقيقي، أي الطبيعة البشرية. ولاحظ أن ثيؤطوكية الأحد تتحدث عن التجسد، ثم عن العذراء؛ لان كل ما يخص العذراء مرتبطٌ بالتجسد

(٢) في هذه الفقرة يفرِّق كيرلس بين هرطقتين، وهما النسطورية التي ادعت أن المسيح حصل على مجرد صلة باللاهوت، والأريوسية التي ادعت أن الابن في الجسد مخلوقٌ رُفِّعَ بمنحةٍ إلهيةٍ من الآب إلى كرامة اللاهوت. ويمكن لأي إنسان يريد أن يتحاشى السقوط في هرطقة أن يتذكر دائماً أن ربنا يسوع ليس إنساناً تألَّه، ولا إلهاً فقط، بل هو واحدٌ من اثنين: لاهوت وناسوت.

الإلهي وكتبه: "اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً حسب الجسد المدعوين غير المختونين من قبل المختونين في الجسد المصنوع باليد، أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن جنسية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد بلا رجاء وبلا إله في العالم" (أفسس ٢: ١١ – ١٢). فالأمم إذن كانوا بلا إله في العالم، عندما كانوا بدون المسيح، ولكن عندما عرفوا (المسيح) أنه هو بالحقيقة وبالطبيعة الله، اعترف هو بهم بدوره كمعترفين بالإيمان. وهو (المسيح) **رُفِّعَ بمجدٍ**، "أي بمجدٍ إلهي"؛ لان داود المبارك ينشد: "صعد الله بفرحٍ" (مزمور ٦٧: ٥)؛ لأنه بالحقيقة **صَعِدَ بالجسد** وليس باللاهوت وحده؛ لأن الله تجسد (ولذلك يمكن أن يقال عنه أنه صعد). كما أننا نؤمن أنه ليس إنساناً مثلنا قد تشرَّف بنعمة اللاهوت؛ لئلا نقع في جريمة عبادة إنسان. وإنما نؤمن بالرب الذي ظهر في شكل العبد، والذي صار مثلنا بالحقيقة بطبيعة بشرية، ولكنه ظلَّ الله. لأن الله الكلمة عندما أخذ جسداً لم يفقد خواصه (الإلهية)، بل ظلَّ في نفس الوقت هو نفسه الله المتجسد. هذا هو الإيمان الأرثوذكسي (الصحيح).

وإذا قال أحدٌ: أيُّ ضررٍ يحدثُ إذا اعتقدنا أن إنساناً مثلنا قد حصل على الألوهة، وليس الله هو الذي تجسد؟ سوف نجيب بأنه يوجد ألفُ دليلٍ ضد هذا (الرأي)، وكل هذه الأدلة تؤكد لنا أنه علينا أن نجاهد بثبات ضد هذا الرأي، وأن نرفضه. وقبل أي شيء آخر، فلندرس التدبير الخاص بالتجسد، ونفحص حالتنا جيداً.

لقد تعرَّضَت البشريةُ للخطر، وَهَوَتْ إلى أدنى حالات المرض، أي اللعنة والموت، وزيادةً على ذلك، تدنَّسَت بقذارة الخطية، وضلَّت وصارت في الظلام، حتى أنها لم تعرفه، وهو الله الحقيقي، وعَبَدَت المخلوقات دون الخالق. **فكيف كان من الممكن أن تتحرر من فسادٍ مثل هذا؟** هل بأن تعطى لها الألوهة؟ كيف، وهي لا تعرفُ على وجه الإطلاق ما هي كرامة وسمو الألوهة؟ ألم تكن (البشرية) مقيَّدةً بعدم المعرفة وفي ظلام، بل ومدنَّسةً بلطخة الخطية؟ فكيف كان من الممكن أن ترتفع إلى الطبيعة الكلية النقاء، وتحصل على المجد الذي لا يستطيع أحدٌ أن يصل إليه إلَّا إذا وُهِبَ له؟ دعونا نفترض أنه بالمعرفة مثلاً، أو بالتعليم يمكن الحصول على الألوهة، فمن ذا الذي سيعلِّمها عن المجد الإلهي؟!! لأنه كيف يؤمنوا إن لم يسمعوا؟ (رومية ١٠: ١٤). ولذلك فإنه غير ممكن لأيٍّ من الناس أن يرتقي إلى مجد الألوهة، ولكن من اللائق، بل من

المعقول أن نعتقد أن **الله الكلمة** الذي به خُلِقَت كل الأشياء **اشتهى أن يخلِّص** ما قد هلك، فنزل إلينا ونزل إلى ما دون مستواه؛ حتى يرفع الطبيعة البشرية إلى ما هو فوق مستواها، **أي ترتفع إلى أمجاد اللاهوت بسبب الاتحاد به**[1]. لذلك كان ارتفاعُ الطبيعة البشرية إلى فوق بسبب التجسد **مقبولاً ومعقولاً** عن أن ترتفع الطبيعة البشرية إلى أمجاد اللاهوت بدون التجسد، وأن تنال عدم التغيُّر الخاص بالله دون أن ينزل الله إليها. ومن اللائق أن ينزل غير الفاسد إلى الطبيعة المستعبَدة للفساد؛ **حتى يحررها من الفساد**. وكان من اللائق أن الذي لم يعرف خطية، يصبح مثل الذين تحت الخطية **ليبطل الخطية**. ففي النور تصبح الظلمةُ بلا عملٍ. وحيث يوجد عدم الفساد، يهربُ الفساد. لأن الذي لم يعرف خطية (الله)، جعل الذي تحت الخطية (الجسد) خاصاً به حتى تصير الخطيةُ إلى عدمٍ.

وسوف أبرهِنُ من الأسفار المقدسة أن الكلمة الله صار إنساناً، وليس المسيحُ كإنسانٍ، تألَّه. يقول بولس المبارك عن الابن الوحيد: "الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب مساواته لله شيئاً يُخطَف، بل أفرغ ذاته وأخذ صورة العبد، وصار في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئةِ كإنسانٍ، تواضع وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رَفَّعَهُ الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم، حتى أنه في اسم يسوع المسيح تسجد كل ركب السمائيين والأرضيين والسفليين، ويعترف كل لسان بأن الرب هو يسوع المسيح، وهذا بمجد الآب" (فيلبي ٢: ٦ – ١١). فمن ذا الذي نقول عنه **إنه كان في صورة الله ومساوياً للآب**، وفكَّرَ بأن هذه الأشياء لا تُخطَف، بل نزل إلى الفقر، وصار في شكل العبد، وتواضَعَ وصار في شكلنا؟ وإذا كان مجردُ إنسانٍ مولودٍ من امرأة، فكيف أصبح في صورة ومساواة الآب؟! أو كيف كإنسان، يكون له الملء؟! وكيف يمكن أن

---

(1) يلخِّص القديس كيرلس في هذه السطور جوهر لاهوت مدرسة الإسكندرية ونظرتها العميقة للخلاص، فهو **أولاً**: عودة إلى الاتحاد بالله بعد أن اغتربنا عنه بالخطية. وقد أصبح من الممكن أن نعود إلى لله عندما اتحد اللاهوت بالناسوت في ربنا يسوع المسيح. **ثانياً**: إن الذي يحقق عودتنا لله في المسيح هو الروح القدس، وقد شرح كيرلس هذا في الفقرة (١) من هذه المقالة. **ثالثاً**: إن الخلاص هو الالتصاق بالمسيح في المعمودية التي هي دفنٌ وقيامة معه، وفي شركة جسده في الإفخارستيا، وفي فهم أسراره في الكلمة الإلهية، أو بالموت مثله في حالات الشهداء والنساك ... وكل هذا مؤسَّسٌ على حقيقة أساسية، وهي الاعتقاد بمجيء الله إلينا في الجسد وباتحاده بهذا الجسد.

يخلي ذاته وهو مخلوق؟! فما هو الشرف الذي وصل إليه الإنسان حتى يمكن أن يقال عنه إنه كإنسانٍ، تواضَعَ؟ أو كيف يقال (عن المسيح) إنه صار في شبه الناس، وهو (أصلاً) مثلهم؟! وكيف أفرغ ذاته؟ وهل إفراغُ الذاتِ هو الحصول على ملء اللاهوت؟ (ومادام كل هذا غير صحيح)؛ لذلك نحن لا نعلِّم بأن الإنسان صار إلهاً، بل كلمة الله الذي هو من ذات جوهر الآب، وله ذات المساواة -لأنه صورة الآب-**أخلى ذاته لأجل الطبيعة البشرية**. وقد فعل هذا عندما صار في شكلنا. ولولا أنه له الملء كإله، ما كان قد قيل عنه إنه تواضَعَ. ولقد حدث هذا دون أن يفارق عرش الكرامة الإلهية؛ لأن عرشه مرتفع. صار في شبه الناس، ولكنه في نفس الوقت من ذات جوهر الآب. ولكن علينا أن نلاحظ أنه عندما صار مثلنا، قيل عنه إنه **رَفَعَ معه الجسد إلى مجد الألوهة**. وهذا بالتأكيد واضح، أنه مجده هو (الابن)، ولكنه قيل إنه صعد إلى مجده بالجسد الذي أخذه من أجل البشرية. ونحن نؤمن به كربٍّ الكلِّ حتى وهو في الجسد. وله تنحني كلَّ ركبةٍ. وهذا لا يُحزن الآب ولا يقلل من كرامة الآب، بل هذا لمجده؛ لأنه (أي الآب) يفرح ويُمجَّد عندما يعبدُ الكلُّ الابنَ، رغم أنه صار مثلنا في الجسد كما هو مكتوب: "لأنه لم يأخذ ما للملائكة، بل ما لنسل إبراهيم، ومن ثمَّ كان ينبغي أن يشبه اخوته" (عبرانيين ٢: ١٦ – ١٧). وكلمة "أخذ ما لنسل إبراهيم" تعني **أنه الله**، ولا تعني أنه إنسانٌ مثلنا حصل على اللاهوت. وهو نفسه صار مثلنا، ولذلك وحده دُعِيَ "**أخانا**"، أمَّا نحن، فلا ندعى إخوته من جهة اللاهوت[1]. ومرةً ثانيةً يقول الرسول: "فإذ قد تشارك الاولاد في الدم واللحم، اشترك هو فيهما حتى يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي الشيطان، ويحرر أولئك الذين كانوا كل حياتهم تحت العبودية" (عبرانيين ٢: ١٤ – ١٥). وصار مثلنا عندما اشترك في اللحم والدم، ولهذا سببٌ مرتبطٌ أشدّ الارتباط به (بالتجسد)؛ إذ أنه مكتوب: "لأنه فيما كان الناموس عاجزاً عنه بسبب ضعف الجسد، أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية، ودان الخطية في الجسد" (رومية ٨: ٣). ومرةً ثانيةً، علينا أن نلاحظ أننا لا نقرأ عن إنسان يحصل على اللاهوت ويحاول أن يرتفع إلى كرامته، بل إننا نقرأ عن الله الآب الذي أرسل لنا ابنه الوحيد "في شبه جسد الخطية" لكي يُبطِل الخطية. لذلك فالصواب هو: إن الله الكلمة صار إنساناً ونزل إلى أسفل، إلى فقرنا.

([1]) المسيح هو الاخ البكر (رومية ٨: ٢٠) وهذه التسمية ممكنة، بل حقيقة لأنه أخذ الذي لنا، أي الطبيعة البشرية.

ومِن هذا يظهر لنا أن المسيحَ ليس مجردَ إنسانٍ حصل على المجد الإلهي.

١٣- كلمة الله الذي صار إنساناً هو المسيح يسوع:

عندما نبحث في سر تجسد الابن الوحيد، فما نقوله عنه نتمسك به؛ لأنه التعليم الحقيقي **والإيمان الأرثوذكسي**. فالكلمة نفسه هو مولودٌ من الله الآب، إله حقيقيٌّ من إله حقيقيٍّ، نورٌ من نورٍ، تجسد وتأنَّس، نزل من السماء وتألم وقام من بين الأموات؛ لأنه هكذا حدَّد المجمع العظيم المقدس[١] قانون الإيمان.

وإذا بحثنا لكي نتعلم ما هو المعنى الحقيقي لتجسد الكلمة الذي صار إنساناً، فإننا لا نذهب إلى القول بأن الكلمة عندما تجسد، اتصل فقط بالطبيعة البشرية، وأن مجرد الاتصال جعل بشريته تشاركه مجد ألوهيته وسلطانها، أو أنه جعل بشريته تشاركه اسم الابن، ولكن بالحري إنه صار إنساناً مثلنا واحتفظ بما له من خواص؛ لأنه غير متغيِّر، بل لا يوجد فيه حتى ظِل التغيير (يعقوب ١: ١٧). فهو -تدبيرياً- اتخذ لنفسه لحماً ودماً. ولكنه واحدٌ هو الذي قَبلَ التجسد دُعيَ في الأسفار التي أوحى بها الله "الابن الوحيد"، "الكلمة"، "الله"، "الصورة"، "البهاء"، "رسم جوهر الآب"، "الحياة"، "المجد"، "النور"، "الحكمة"، "القوة"، "الذراع"، "اليد اليمنى"، "العلي"، "الممجَّد"، "ربُّ الصباؤوت". وباقي الأسماء التي تخص الله. وبعد التجسد دُعيَ "الانسان"، "يسوع المسيح"، "الفادي"، "الوسيط"، "بكر الراقدين"، "آدم الثاني"، "رأس الجسد أي الكنيسة". الأسماء الأولى تخصه؛ لأنها أسماؤه، وكذلك الثانية التي أخذها في نهاية الدهور[٢]. لكن الذي يحمل هذه الأسماء هو واحدٌ، الذي قبل التجسد الله الحقيقي، وظلَّ كذلك في تجسده، وسيظلُّ كذلك إلى الأبد.

---

(١) مجمع نيقية المسكوني الأول ٣٢٥.

(٢) يلاحظ أن الفرق الأساسي بين الأسماء الأولى والأسماء الثانية هو أن الثانية تتحدث عن عمل الابن الوحيد الذي قام به في الجسد مثل "الوسيط"، "بكر الراقدين" إلخ

ولذلك لا يجب أن نقسِّم الرب يسوع المسيح إلى إنسان وإلى إله، بل نقول يسوع المسيح هو هو واحد، لكن نميِّز بين الطبيعتين دون أن نمزجهما[١].

وحتى إذا قالت هذه الكتب المقدسة إن في المسيح حلَّ كلُّ ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي ٢: ٩)، فإن هذه الكلمات **لا تعني الانفصال**، كما لو كان الكلمة قد حلَّ في إنسان اسمه المسيح؛ لأننا يجب أن لا نمزِّق الاتحاد، أو نعتقد بوجود ابنين. وحتى إذا استخدمت الأسفار المقدسة اسم المسيح وحده دون أن تشير إلى الله الكلمة، فهذا لا يبدو بالمرة فصلاً للطبيعة البشرية التي اتخذها لنفسه وجَعَلَها هيكله. **علينا أن نفهم طريقة التعبير عن الحقائق الإيمانية؛** لأنه مكتوب في موضع آخر إن "نفوس البشر تسكن[٢] في بيوتٍ من طين" (أيوب ٤: ٩)، فاذا كانت أجساد البشر تسمى "بيوت من طين"، والنص يؤكد أن النفوس تسكنها، فهل تستدعي طريقة التعبير هذه أن نقسِّم الإنسان الواحد إلى اثنين (جسد ونفس)؟! أليس هذا خطأ؟ وإذا كانت هذه الطريقة المألوفة للحديث عن الموضوعات التي فيها اتحاد بين اثنين، وبسبب الاتحاد يمكن أن نتحدث عن طبيعة هي أصلاً من الطبائع المركَّبة[٣] كما لو كنا نتحدث عن عنصرٍ واحدٍ منها مع أن الواقع غير ذلك، فأحيانا يقال عن الإنسان إن روحه تسكن جسده، وأحياناً تدعى روحُ الإنسان (وحدها) أو جسد الإنسان (وحده) إنساناً، وهذا ما يخبرنا به بولس الحكيم إذ يقول: "إذا كان إنساننا الخارجي يفنى، فإنساننا الداخلي يتجدد يوماً فيوماً" (٢ كورنثوس ٤: ١٦)، والرسول يتحدث عن العلاقة بين الإنسان الخارجي والداخلي ويصفها بهذه الطريقة، وهو يتحدث بالصواب، لكنه لا يقسِّم الإنسان الواحد إلى اثنين (واحد داخلي والآخر خارجي). كذلك النبي أشعياء في موضعٍ آخر يقول: "في الليل تبكر إليك روحي يا الله" (أش ٢٦: ٩)، فهل تقوم روحه مبكرة إلى الله باعتبارها شيئاً آخر غير نفسه؟ أليس حماقةً أن نستنتج هذا؟!! لذلك علينا أن نفهم طريقة الحديث عن مثل هذه الموضوعات، وأن نلتزم بما هو معقول، منتبهين

---

(١) من المعروف أن مقالة القديس كيرلس عن تجسد الابن الوحيد قد قُرئت في مجمع خلقيدونية سنة٤٥١ والعبارة التي نحن بصددها الآن هي إحدى العبارات الأساسية التي تمسَّك بها القديس ديسقوروس كما هو ثابت من محاضر الجلسات، وبالذات الكتاب الذي نُشِرَ في روما سنة ١٦٩٤ عن مجمع خلقيدونية ص٨٦

(٢) أو تحلُّ.

(٣) حرفياً "الطبائع المتحدة".

إلى الغرض الذي يكمن وراء هذه الاقوال.

وعلى الرغم من أنه قيل عن يسوع إنه كان "ينمو في القامة وفي الحكمة وفي النعمة" (لوقا ٢: ٥٢). فإن هذا **يخصُّ التدبير**؛ لأن كلمة الله سمح لبشريته أن تنمو حسب خواصها وحسب قوانينها وعاداتها. لكنه أراد **شيئاً فشيئاً أن يعطي مجد ألوهيته إلى جسده** كلما تقدَّم في العمر حتى لا يكون مرعبا للناس، إذا بَدَرَ منه عدم الاحتياج المطلق إلى أي شيء. ومع هذا تكلموا عنه: "كيف عَرِفَ هذا الإنسان الكتبَ وهو لم يتعلم" (يوحنا ٧: ١٥)[١]. **فالنمو يحدث للجسد، كما أن التقدم في النعمة والحكمة يتلائم مع مقاييس الطبيعة البشرية**. وهنا يلزمنا أن نؤكد أن الله الكلمة المولود من الآب **هو نفسه كلي الكمال** لا ينقصه النمو أو الحكمة أو النعمة، بل إنه يعطي للمخلوقات الحكمة والنعمة وكل ما هو صالحٌ.

وعلى الرغم من أنه قيل عن يسوع إنه تألَّم، فإن الآلام هي أيضاً **خاصة بالتدبير**. وهي آلامه هو، وهذا صحيحٌ تماماً؛ لأنه تألَّم في الجسد **الذي يخصُّه هو**. ولكنه كإلهٍ، لا يتألم، أي **لا تقبل طبيعته الألم**، حتى عندما تجرَّأ صالبوه وعذَّبوه بقسوةٍ. وعندما صار الابن الوحيد مثلنا – لأنه دُعيَ في الأسفار التي أوحى بها الله "بابن البشر"، وهذا حسب التدبير– إلَّا أننا نعترف أنه بطبيعته الله.

---

(١) لا يتعارض هذا الشرح مع تأكيد القديس كيرلس على الاتحاد. لقد حدث الاتحاد منذ اللحظة التي تكوَّن فيها الجسد، ولكن الجسد كان ينمو حسب خواصه وقوانينه. وما يؤكده كيرلس هنا هو أن المسيح كشف عن مجده الإلهي شيئاً فشيئاً كلما نما جسده. ولعل هذا المبدأ اللاهوتي الهام، هو ما يميز الأناجيل الأربعة عن غيرها من الأناجيل المزوَّرة التي تنسب للمسيح في طفولته معجزات وخوارق غير عادية. وما هو واضح جداً من هذه الفقرة هو أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت شيء، وظهور المجد الإلهي شيء آخر. الاتحاد حدث دون انفصال، لكن ظهور المجد الإلهي كان يحدث على فترات وفي مناسبات معينة مثل السير على الماء أو التجلي.

١٤- براهين مِن الكتب الإلهية على أن كلمة الله وإن كان قد صار إنساناً، إلَّا أنه ظلَّ الله

يقول الله في موضعٍ ما لموسى شارحاً الأسرار الإلهية: "وتصنع غطاءً من الذهب لكرسي الرحمة من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف. وتصنع كروبين من ذهب، صنعة خراطةٍ تصنعهما على طرفي الغطاء. فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك. ووجهاهما كلُّ واحدٍ إلى الآخر نحو كرسي الرحمة يكون وجهاً الكروبين"(خروج ٢٥: ١٧ - ٢٠).

هذا رمزٌ صحيح يَدُلُّ على الله الكلمة الذي تأنَّس، إلَّا أنه ظلَّ الله. وعندما صار مثلنا من أجل التدبير، لم يفقد مجده وعظمته. وعمانوئيل صار لنا "كفارةً بالإيمان" (رومية ٣: ٢٥). وهذا يبرهنه يوحنا أيضاً: "يا أولادي الصغار أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارةٌ لخطايانا" (١ يوحنا ٢: ١ - ٢). وأيضاً يقول بولس: "الذي قدَّمه كفارةً بالإيمان بدمه" (رومية ٣: ٢٥). وعلينا أن ننظر إلى الكروبين واقفين باسطين أجنحتهما على كرسي الرحمة، وفي نفس الوقت يثبِّتان أعينهما على إرادة ربهما. وحشد الأرواح السمائية يثبِّتون عيونهم على إرادة الله، وكلهم لا يشبع من التطلع إلى الله. هذا المنظر الارضي (في خيمة الإجتماع)، يذكِّرنا بالمنظر السمائي الذي رآه أشعياء النبي عندما رأى الابنَ جالساً على عرشٍ عالٍ (أش ٦: ١)، والسارافيم يخدمونه كالله.

١٥- برهانٌ آخر

وموسى الإلهي قد أُقيم في القديم لكي يحرر شعبه من ظلم المصريين، ولكن كان من الضروري أولاً أن يتعلم الذين كانوا تحت نير العبودية، أن الله تصالح معهم. لذلك أمر موسى بأن يُجري معجزات؛ لأن المعجزة في بعض الأوقات تساعدنا على الإيمان. لذلك يقول موسى لله ضابط الكل: "ولكن إذا لم يصدقوني ولا يسمعون لقولي، بل يقولون لم يظهر لك الرب، فماذا اقول لهم؟ فقال له الرب: ما هذه التي في يدك؟ فقال عصا. فقال اطرحها على الأرض. فطرحها،

فصارت حيةً، فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى: مُد يدك وامسك بذنَبها .." (خروج ٤: ١ – ٥).

لنتأمل هذا. إن ابن الله بالطبيعة وبالحق، هو **عصا الآب**؛ لأن العصا هي **علامةُ المملكة**؛ لأن الآب في الابن له سلطانٌ على الكلِّ. وفي ذلك يقول داود: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامةٍ هو قضيبُ ملكك" (مزمور ٤٥: ٦). ولكنه (الآب) طَرَحَها، أو جعلها على الأرض في طبيعةٍ بشرية. عند ذلك اتخذت (العصا) شبه الناس الخطاة، وأصبح واضحاً أن العصا التي صارت حيةً، ترمز إلى شر الطبيعة البشرية؛ لأن الحية علامةٌ على الشر. ولكي نتأكد أن ما فسَّرته صواباً، نجد أن ربنا يسوع المسيح نفسه يقول عن رموز التدبير بالجسد، **إنه مثل الحية النحاسية** التي رفعها موسى لكي تشفي مِن عضَّات الحيات. لأنه يقول: "وكما رفع موسى النبي الحية في البرية، هكذا يجب أن يُرفع ابن الإنسان حتى أن من يؤمن به لا يهلك، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٤ – ١٥). والحية التي صُنِعَت من نُحاسٍ كانت سببَ خلاصِ الذين كانوا في خطر؛ لأنهم عندما نظروا إليها خَلصوا. هكذا ربنا يسوع المسيح للذين ينظرونه، وهو في شبه الناس الخطاة –لأنه صار إنساناً– ولكن لا يجهل أحدٌ أنه الله الذي يقيم والذي يمنح الحياة والقوة للهرب من العضات الأليمة والسامة، وأنا أقصد القوات التي تحاربنا.

وهناك جانبٌ رمزيٌّ آخر: "عصا" موسى ابتلعت "عُصي" السحرة التي أُلقيت على الأرض؛ لأن "العصا" بعد أن طُرِحَت على الأرض، وصارت حيَّةً "لم تظل حيةً"، بل رجعت إلى ما كانت عليه. كذلك "عصا" الآب، أي الابن الذي فيه يسود الآب على الكلِّ، صار في شبهنا –كما قلت من قبل– إلَّا أنه بعد أن أكمل التدبير، **عاد إلى السماء**، فهو في يد الآب "**قضيب البر والمُلك**" (مزمور ٤٥: ٦)، وهو يجلس عن يمين الآب في مجده، وله عرش الآب حتى وهو في الجسد.

١٦– وأيضاً...

قال الرب لموسى: "اِدخل يدك داخلاً في حضنك ... ثم اخرجها وإذا يده برصاء مثل

الثلج" (خروج ٤: ٦ – ٧). **اليد** –يدُ الله الآب– في الأسفار الإلهية هي **الابن**؛ لأن النص يشير إليه: "أنا ويدي أسَّست السموات" (أشعياء ٤٨: ١٣)، وداود الإلهي ينشد قائلاً: "بكلمة الرب تأسَّست السموات" (مزمور ٣٣: ٦). وعندما كانت يدُ موسى مختبئةً في حضنه لم تكن برصاء، ولكن عندما أُخرجت خارجاً صارت برصاء. وبعد فترة أدخلها مرةً ثانيةً، ثم أخرجها، ولم تعد برصاء، بل قيل: "أُعيدت إلى نفس لون جسده" (خروج ٤: ٧). لذلك عندما كان الله الكلمة في حضن الآب، **كان يشرق ببهاء الألوهة**، ولكن عندما صار كما لو كان خارجا بسبب التجسد، أو لأنه صار إنساناً في شبه جسد الخطية" (رو ٨: ٣)، "**أُحصيَ مع أثمةٍ**" (أشعياء ٥٣: ١٢)؛ لأن بولس الإلهي يقول: "الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا حتى نصير بر الله فيه" (٢ كورنثوس ٥: ٢١)، وهذا ما أعتقد أن البرص أشار إليه؛ لأن الأبرص حسب الناموس كان نجسا. ولكنه عندما عاد إلى حضن الآب –لأنه صعد إلى هناك بعد قيامته من الأموات– صار مثل يد موسى التي أُدخلت في حضنه وصارت طاهرة. **هكذا سوف يأتي ربنا يسوع المسيح** في الوقت المحدد ببهاء مجد الألوهة، رغم أنه لن يخلع شبهنا. لأن بولس المبارك يقول أيضاً عن المسيح: "لأنه مات لكي يحمل خطايا كثيرين، وسيظهر ثانيةً بلا خطية لخلاص الذين ينتظرونه" (عبرانيين ٩: ٢٨). لذلك عندما تدعوه الأسفار الإلهية المسيح يسوع في مناسبات متعددة، لا يُظن أحدٌ أنه مجرد إنسان بل لنعتقد أنه يسوع المسيح كلمة الله الحقيقي الذي من الله الآب، حتى وإن صار انساناً.

١٧– المسيحُ ليس الله لَبِسَ جسداً، وليس كلمة الله الذي حلَّ في إنسان، بل الذي تجسد فعلاً حسب شهادة الكتب

الذين بلا دنس (الهرطقة) يؤمنون بالمسيح، ويتفقون معنا، يعلِّمون أن الله الكلمة هو من الله الآب. وأنه نزل إلى فقرنا وصار في صورة العبد. والجسد الذي أخذه ووُلِد من العذراء هو جسده. بل أنه لم يولد فقط، بل صار مثلنا ودُعيَ ابن الإنسان[1]. **فهو بالحقيقة الله حسب الروح، ولكنه هو نفسه إنسانٌ حسب الجسد**، من أجل هذا يوجِّه بولس الرسول الإلهي خطابه

([1]) هذه الطريقة الغريبة في تأكيد إنسانية الرب سببها البدع التي كانت تقاوم اعتقاد الكنيسة الجامعة بتأنُّس المسيح.

إلى اليهود قائلاً: "الذي بأنواعٍ كثيرةٍ وطرقٍ شتَّى تكلم مع الآباء بالأنبياء، وفي الأيام الأخيرة تكلم معنا في ابنه" (عب ١: ١ – ٢). كيف تكلم الله الآب في الأيام الأخيرة في ابنه؟ قديماً تكلم في الناموس، في الابن، ولذلك قال الابن إن كلماته أُعطيت قديماً لموسى الحكيم: "لا تظنوا إني جئت لكي أنقض الناموس أو الأنبياء. لأنني لم آت لكي انقض بل أكمِّل. السموات والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول"(متى ٥: ١٦ – ١٨،متى ٢٤: ٣٥). وكذلك يشهد النبي: "أنا هو المتكلم أنا آتٍ" (أشعياء ٥٢: ٦ السبعينية)، وعندما تجسد، تكلم الآب معنا فيه، كما قال بولس المبارك: "في آخر الأيام". ولكي لا يعوقُ أيُّ شيء إيماننا بأنه هو هو قبل الدهور الله الابن، أضاف الرسول على الفور: "**الذي فيه خلق العالمين**"، ثم عاد وأكَّدَ "**الذي هو بهاء مجد ورسم أقنوم الآب**". بالحقيقة صار إنساناً، ذاك الذي به الله الآب "خلق العالمين". ولذلك، لكي يكون اعتقادنا سليماً، علينا أن نؤمن أنه صار إنساناً، وليس كما يفترض البعض إنَّ الله سكن فيه. لو كان هذا صحيحاً –أي أن الله سكن في إنسان– ألا يصبح ما يقوله يوحنا الإنجيلي المبارك: "الكلمة صار جسداً" (يوحنا ١: ١٤) بلا فائدة؟ لأنه ما هي الحاجة إلى مثل هذا التصريح؟ وكيف يقال إن الكلمة تجسد إلَّا إذا كان فعلاً قد صار جسداً، أي صار مثلنا، لكنه ظلَّ فوقنا، بل فوق كل الخليقة. **وسوف أُبرهنُ بأمثلةٍ كثيرة** على صدق ما ذكرته وهو أن الابن الوحيد صار إنساناً، وهو الله حتى وهو في الجسد، ولم يسكن في إنسان، ثم جعل هذا الإنسان لابساً اللاهوت مثل البشر الذين أنعم عليهم بشركة الطبيعة الإلهية.

١٨– الأمثلة..

يقول الله عن (البشر) في موضع: "**إني سأسكن فيهم** وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً" (أرميا ٣١: ٢،٣٣، كورنثوس ٦: ١٦) ويقول الرب يسوع المسيح نفسه: "ها أنذا **سآتي** .. إن فتح لي إنسانٌ، سوف أدخل أنا وأبي **لنسكن** ونتعشى معه" (يوحنا ١٤: ٢٣ ورؤيا ٣: ٢٠)، وكذلك أيضاً دُعينا **هياكل الله**: "أنتم هياكل الله الحي" (٢ كورنثوس ٦: ١٦)، وهو يقول أيضاً: "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي هياكل الروح القدس الذي فيكم والذي لكم من الله" (١ كورنثوس ٦: ١٩). **فإذا قالوا** إنه دُعيَ عمانوئيل بمعنى أنه مثلنا نحن البشر قد سكن الله فيه، فليعترفوا علانيةً أنهم عندما يشاهدوننا نحن والملائكة في السماء وعلى الأرض

نعبده، يخجلون من هذه الفكرة. ويخجلون بالحري لأنهم يجهلون قصد الأسفار المقدسة. كما أنه لا يوجد عندهم الإيمان الذي سلَّمه إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة (لوقا ١: ٢). **وإذا قالوا** إنه الله، وإنه تمجد كإله؛ لأن كلمة الله الآب سكن فيه (أي في يسوع المسيح)، وإنه يُمجَّد على هذا النحو، وليس على أساس أنه الله الذي صار جسداً، فليسمعوا منا هذا: **لا يكفي لمن يسكن الله فيه أن تجعله هذه السكنى إلهاً يُعبَد؛ لأن الله يسكن في الملائكة وفينا نحن بالروح القدس. ومع هذا، فالذين أخذوا الروح القدس، لا يكفيهم هذا لكي يصبحوا بالحقيقية آلهة**[1]. **لذلك ليس كما يحل في إنسان، وإنما نعبده لأنه الله الذي صار جسداً أي إنساناً وظلَّ في نفس الوقت الله الذي يُعبَد.**

([1]) تعد هذه الفقرة من أهم ما تركه الآباء لنا عن الفرق الأساسي بين المسيح وبين المؤمنين من حيث مشاركة الطبيعة الإلهية. ولم يكتب أحدٌ قبل كيرلس السكندري بهذا الوضوح في هذه النقطة.

أقوالٌ رسوليةٌ تشهد
على أنَّ المسيحَ هو الله

١٩– عندما يتحدث الرسول عن المسيح يقول: "الذي في أجيالٍ أخر لم يعرفه بنو البشر على النحو الذي أُعلن الآن لقديسيه .. الذين أراد الله أن يعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد الذي ننادي به" (أفسس ٣: ٥ – كولوسي١: ٢٦ – ٢٧). فاذا كان المسيحُ إنساناً لبس اللاهوت، وليس اللهَ بالحقيقية، فكيف يصبحُ هو نفسه "غنى مجد السر" الذي يبَشَّر به للأُمم؟ أو كيف يمكن أن يُقال إن الرسول بشَّر باللهِ بالمرة؟!

٢٠– "فإني أريد أن تعلموا أيَّ جهادٍ لي لأجلكم لأجل الذين في لاودوكية وجميع الذين لم يروا وجهي في الجسد، لكي تتعزَّى قلوبهم مقترنة في المحبة بكل غنى يقين الفهم لمعرفة سر الله والمسيح" (كولوسي ٢: ١ – ٢). وها هو يسمَّى سِرُّ الله، **سِرُّ المسيح**، ويتمنى لمن يكتب إليهم أن يكون عندهم "يقين الفهم" لمعرفته. فما هي حاجة الذين يريدون معرفة سِرِّ المسيح إذا كان اللهُ حلَّ في إنسانٍ؟ .. لكنهم يحتاجون إلى "غنى يقين الفهم" لكي يعرفوا أن الله الكلمة تجسَّدَ.

٢١– "لأنه منكم أُذيعت كلمة الرب ليس في مكدونية وأخائية فقط، بل في كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله حتى لم يعد لنا حاجة أن نتكلم.." (١ تسالونيكي ١: ٨). وها هو الرسول يذكر أن إيمانهم هو **إيمان الله**، بينما يقول المسيح: "**مَن يؤمن بي** فله الحياة الأبدية" (يوحنا ٦: ٤٧). كما أن الكلمة التي يبشِّر بها الرسول هي كلمة الرب، أي المسيح.

٢٢– "لأنكم أنتم أيها الأخوة تعلمون دخولنا إليكم أنه لم يكن باطلاً، بل بعد ما

تألمنا قبل وبغي علينا كما تعلمون في فيلبي، بشجاعة **في إلهنا** تكلمنا معكم بإنجيل الله" (١ تسالونيكي ٢: ١-٢). وعندما يقول الرسول إنه تحدث بشجاعة "في إلهنا"، فإنه يوضِّح **مَن هو هذا الإله**، فهو الذي كرز به في بشارة إنجيل الله الذي يبشر به الأمم، أي المسيح.

٢٣- "فإنكم أيها الإخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم **بإنجيل الله** ونحن عاملون ليلاً ونهاراً كي لا نثقل على أحدٍ منكم". وأيضاً: "مِن أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع لأنكم إذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة أُناس، بل كما هي في الحقيقة ككلمة الله التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين" (١ تسالونيكي ٢: ٩ - ١٣). ألا يقول الرسول صراحةً إن **كلمة المسيح** هي إنجيل الله، وأنها كلمة الله أيضاً؟! أليس هذا ظاهراً بكل وضوح للجميع؟

٢٤- "لأنه قد ظهرت نعمة **الله مخلصنا** لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات .. منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد **الله العظيم ومخلصنا** يسوع المسيح" (تيطس ٢: ١١ - ١٣). هنا جهراً يوصَف الرب يسوع بأنه "**الله والعظيم**"، ذلك الذي ننتظر مجيئه المجيد، فنصلي بحرارةٍ، ونعيش بالتقوى وبدون عيب. ولو كان المسيحُ إنساناً لبس اللاهوت، فكيف يسمى "الله العظيم"؟ وكيف يكون رجاؤنا فيه مباركاً؟ والنبي أرميا يقول: "ملعون هو الرجل الذي يتكل على إنسان" (أر ١٧: ٥). ولو كان المسيح قد لبس اللاهوت، فهذا لا يجعله إلهاً. وقياساً على ذلك، لو دعونا كل مَن حلَّ فيهم الله آلهة .. فماذا يمنعنا من عبادتهم؟ لكن الرسول بولس يسمي المسيح: الله والعظيم، وأن مجيئه مبارك. وبولس أيضاً قال لليهود عن عمانوئيل: "الذين منهم الآباء والعهد والمواعيد، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل **الله المبارك إلى الأبد**" (رومية٩: ٤ - ٥). ولقد كرز بولس بإعلانٍ إلهي .. وهذا واضح، إذ يقول هو نفسه: "وبعد أربعة عشر سنة صعدت إلى أورشليم مع برنابا وأخذت تيطس معي. ولقد صعدت بإعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به، لكن عرضته على انفراد على المعتَبَرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً" (غلاطية ٢: ١ - ٢). ونحن نعلم أن بولس بشَّر بالمسيح للأمم **كإله**، وفي كل مكان كان يتحدث عن سر المسيح مُسمِّياً إياه **بالسر العظيم الإلهي**. لقد صعد إلى أورشليم بموجب إعلان إلهي، وعرض بشارته على المعتَبَرين، أي الرسل القديسين

والتلاميذ؛ لئلا يكون قد سعى باطلاً. وعندما نزل من أورشليم وأخذ يبشِّر الأمم **لم يصحح تعليمه** ولم يغيِّر بشارته التي سبقت صعوده إلى أورشليم. ألم يستمر في الاعتراف بالمسيح الاله؟ بكل تأكيد، حتى أنه يكتب قائلاً: "إني أتعجب من أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم إلى إنجيلٍ آخر. ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوِّلوا إنجيل المسيح"، ثم يضيف: "لكن إن بشَّرناكم نحن أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما" (غلاطية ١: ٦ – ٧). ورغم أن الله حال في كل الذين بشَّرهم (بولس)، إلَّا أنهم تركوا كل شيء. وما سبب ذلك إلَّا أن الرسول كرز لهم بالمسيح الاله وحده؟!!

٢٥– كتب يوحنا الإنجيلي عن المسيح: "وعندما كان في أورشليم في العيد **آمن به كثيرون** باسمه، إذ رأوا الآيات التي صنع، لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه **كان يعرف الجميع** ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد احد عن الإنسان لأنه **عَلِم ما كان في الإنسان**"(يوحنا ٢: ٢٣ – ٢٥). لو كان المسيح إنساناً لبس اللاهوت، ألا يكون الذين آمنوا به وباسمه في أورشليم قد خُدِعوا؟ و**كيف عرف وحده ما في الإنسان؟** لأن الله وحده هو الذي يعرف الإنسان؛ لأنه هو "الذي يصور القلوب واحداً فواحداً"(مزمور ٣٣: ١٥). **ولماذا هو وحده يغفر الخطايا؟** فهو يقول: "ابن الإنسان له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا"(متى ٩: ٦). **ولماذا هو وحده** دون باقي الخلائق **يجلس مع الآب على عرشه؟** لماذا **تعبده** الملائكة وحده؟ ولماذا علَّمنا أن نعتبر الآب "أبانا السماوي"، **لكنه تحدَّث عنه بطريقة خاصة به وحده،** ومختلفة عن الطريقة التي علَّمنا إياها؟!

ربما قال أحدٌ ما إن كل ما ذكرته من براهين يجوز أن تُستَخدم في مجال حلول الكلمة (في إنسان). ولو كان الأمر كذلك، لكان على الكلمة أن يبدأ كلامه كما يبدأ الأنبياء الذين حلَّ فيهم الكلمة ويقول: "هكذا يقول الرب"، ولكنه لم يفعل، بل عندما شرع في وضع الشريعة التي هي أسمى من الناموس، أظهر سلطانه كمشرِّعٍ للناموس وقال: "أمَّا أنا فأقول لكم" (متى ٥: ٢٢، و٢٨، و٣٢، و٣٤، و٣٩، و٤٤).

وكيف يقول إنه حُرٌّ وليس مديوناً لله (متى ١٧: ٢٦)؟ السبب في ذلك هو أنه الابن بالحقيقة. ولو كان إنساناً لبس اللاهوت، لن يكون بطبيعته حراً، ولأن الله بطبيعته حُرٌّ، فهو وحده الذي يطلب الديون في الوقت المناسب.

وإذا كان المسيح **هو غاية الناموس والأنبياء**، وقيل عنه إنه إنسان لبس اللاهوت، ألا يعطي هذا فرصةً للبعض أن يقولوا في سخريةٍ، إن غاية الناموس وبشارة الأنبياء أدَّت في النهاية إلى ذنب عظيم، وهو عبادةُ إنسانٍ؟

لقد حدَّد الناموس **عبادتنا لله** على النحو التالي: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تخدم" (تثنية ٦: ١٣ – متى ٤: ١٠). ولقد كان الناموس **مؤدِّبنا وقائدنا إلى المسيح**، وإلى معرفةٍ أكثر سمواً من تلك التي حصل عليها الذين عاشوا في الظلال[١] **وعبادتنا لله ليست شيئاً يستهان به** حتى أننا نعبد بدلاً منه إنساناً حلَّ الله فيه. وعلى ذلك، أيهما أفضل بالنسبة للإيمان، طالما أن المسألة هي مجرد حلول الله، هل الأفضل أن يحلَّ اللهُ في السماء، أم يحلُّ في إنسان؟ أيهما أشرف، طالما أن المسألة هي مجرد حلول، أن يحل الله في السيرافيم، أم في جسد بشري أرضي؟[٢]. ولو كان (المسيح) إنساناً لبس اللاهوت، فما معنى القول: "شاركنا في اللحم والدم" (عبرانيين ٢: ١٤)؟ كيف يتحقق هذا لو كان اللاهوت قد حلَّ في إنسان؟ **هل يكفي الحلول** لأن يصبح (الكلمة) مشاركاً إيانا اللحم والدم؟ ولو كانت مشاركته اللحم والدم تجعل منه إنساناً على النحو الذي يفهمه المعارضون للإيمان، فالله حلَّ في قديسين كثيرين، وهذا يعني أنه لم يتجسد مرةً واحدة، بل عدة مرات. لكن قيل عن التجسد: "أظهر مرةً عند انقضاء الدهر لكي يبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عبرانيين ٩: ٢٦). فلو كان الرأي المعارض صحيحاً، فكيف تبشرنا الكتب الإلهية بمجيء واحد الكلمة؟

---

(١) أي في العهد القديم.

(٢) تعد هذه الفقرة بمثابة جوهر الديانة المسيحية. وقد أدرك القديس كيرلس هذا. ولذلك يسال خصوم الأرثوذكسية: إذا كنتم تريدون أن تشرِّفوا الله وتزيدوه مجداً بإنكاركم التجسد، فما هو الفرق بين المسيحية واليهودية؟!

٢٦- لو كان المسيحُ إنساناً حلَّ فيه اللاهوت، فإنه يصبح مجردُ هيكلٍ لله. وفي هذه الحالة علينا أن نسأل كيف يسكن فينا المسيحُ إذن؟ هيكلٌ يسكن في هياكل، هل هذا معقول؟! أم المعقول أنه هو الله الساكن فينا نحن هياكله بالروح؟!

لو كان المسيح إنساناً لبس اللاهوت، فلماذا يكون **جسده وحده واهب الحياة** بصورة دائمة؟!

لو كان مجرد حلول اللاهوت يؤدي إلى هذا لنالت هذا الامتياز **أجسادُ القديسين** الذين حل فيهم الله ضابط الكل. وبولس الإلهي يكتب في موضع آخر: "الذي يحتقر ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة يموت بدون رحمة، فكم عقاباً أشرّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً؟!" (عبرانيين ١٠: ٢٨ - ٢٩). **والناموس** الذي تكلم به الأنبياء **هو إلهي، والوصايا أُعطيت عن طريق الملائكة.** فكم عقاباً أشرّ يستحق ذاك الذي يدنس دم المسيح؟ **وما هي أفضلية الإيمان بالمسيح** عن العبادة حسب الناموس؟ ولماذا يكون العقاب أشرَّاً لو أن هناك مساواة بين الاثنين؟ لقد قلنا سابقاً إن المسيح ليس مثل باقي القديسين حلَّ فيه اللاهوت. بل **هو الله بالحقيقة** ومجده أسمى من مجد العالم كله لأنه بالطبيعة الله، فهو كلمة الله الآب الذي تجسد وصار إنساناً كاملاً. ونحن نؤمن أن الجسد الذي اتحد به، فيه نفسٌ عاقلة، ولهذا فالاتحاد كاملٌ وحقيقيٌّ.

٢٧- كيف يجب أن نفهم أن الكلمة تجسَّد وسكن فينا؟ وكيف نزل إلينا كلمة الله؟ وماذا يجب أن نقول عن الجسد الذي هو جسده؟ يذكر الرسول بولس المبارك أن الابن الوحيد أمسك بنسل إبراهيم وإنه اشترك في اللحم والدم وصار مثلنا (راجع عبرانيين ٢: ١٤ - ١٦). ونحن نذكر أيضاً صوت يوحنا القائل: "والكلمة صار جسداً وسكن فينا"[1] (يوحنا ١: ١٤). فهل قَصَدَ هؤلاء الرجال الروحيون أن يعلِّمونا أن كلمة الله صار جسداً، أي تغيَّر؟ وهل من الصواب أن نعتقد أن الكلمة يمكن أن يتغيَّر مثل المخلوقات؟ لو كان هذا هو قصد هؤلاء

---

(1) الترجمة العربية البروتستانتية تفضِّل ترجمة الأصل اليوناني إلى: "سكن بيننا"، بينما تفضِّل الترجمات العربية القديمة: "سكن فينا"، وهي أفضل واقرب إلى الأصل اليوناني؛ لأن "الكلمة صار جسداً" تعني صار فينا.

لتعيَّن علينا أن نفترض إمَّا أن يأتي الكلمة بإرادته الحرة ويتغيَّر إلى طبيعة أخرى، أو أن يرغمه آخر على قبول طبيعة أخرى .. وكلا الافتراضين لا يظهران في النصوص الإلهية.

حاشا لله أن يتغيَّر؛ لأن طبيعته لا تقبل أي تغيير، بل ليس فيها حتى ظل التغيير (يعقوب١: ١٧)، وطبيعته الإلهية السمائية قائمة على ما لها من صفات لا يمكن أن تتغير أبداً.

كيف إذن تجسَّد الكلمة؟ هذا ما نحتاج إلى معرفته:

أولاً: إن الأسفار الإلهية غالباً ما تسمي الإنسان كله جسداً، أي تسمي الكل باسم الجزء .. فيُشار تارةً إلى الإنسان كله باسم الجسد، وتارةً يسمى الإنسانُ بالنفس وحدها، كما هو مكتوب: "ويبصر كلُّ جسدٍ خلاص الله" (لوقا ٣: ٩). وكذلك بولس الإلهي الناطق بالإلهيات يقول: "لم أستشر لحماً ودماً" (غلاطية ١: ١٦). وموسى شارح الأسفار الإلهية يخاطب الإسرائيليين: "والذين نزلوا إلى مصر من آبائكم كانوا خمسة وستين نفساً" (تثنية ١٠: ٢٣). ولا يستطيع أحدٌ أن يقول إن الذين نزلوا إلى مصر هم نفوسٌ عاريةٌ بلا أجساد، أو أن الأجساد بلا نفوسها هي التي سيعطيها الله بغنى من خلاصه[١]. لذلك عندما نسمع أن "الكلمة صار جسداً"، فلنعتقد أنه تجسَّد وصار **إنساناً له نفسٌ وجسد**. لأن الكلمة الله تجسد وصار إنساناً كاملاً ودُعيَ ابنُ الإنسان؛ لأن له نفساً وعقلاً، واتَّحد بكل مكونات الإنسان اتحاداً حقيقياً بطريقةٍ يعرفها هو وحده.

إن كيفية الاتحاد هي فوق عقولنا. وإذا أراد أحدٌ ما مثالاً على ما نقول، وهو مثالٌ أقرب لمن ينظر في مرآة، لا لمن يتطلع إلى ذات الشيء، فإننا نقول إن الكلمة اتَّحد بجسدٍ له نفسٌ عاقلةٌ **مثل اتحاد نفس الإنسان بجسده**. ورغم أن الجسد من طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعة

---

(١) يؤكد كيرلس هنا وحدة الإنسان نفساً وجسداً، وهو المبدأ الهام الذي قام عليه تعليم الكتاب المقدس بعهديه، وهو ما يضاد تعليم أفلاطون، بل والفلسفة اليونانية القديمة التي تعلِّم بوجود تناقض بين النفس (الروح) والجسد. ونص القديس كيرلس هو نصٌّ فريد، كُتِبَ في وقتٍ سادت فيه الفكرة الأفلاطونية، وهذا ما يؤكد تمسُّك هذا المعلِّم الكنسي بمبادئ الكتاب المقدس ورفضه النظام الفلسفي الأفلاطوني.

النفس، إلَّا أن النفسَ تشترك مع الجسد وتتحد به، حتى أنها لا تبدو مختلفةٌ عنه. ولذلك، فإن الإنسانَ من الطبيعة المركَّبة، **كائنٌ حيٌّ واحدٌ**, إلَّا أننا نعرف أن النفسَ–كما قلت سابقاً– تظلُّ مختلفةً بطبيعتها. ولذلك نقول إن التجسُّدَ تمَّ ليس بالتبديل أو التغيير في طبيعة الكلمة؛ لأنه عندما صار جسداً، لم يفقد خواص لاهوته.

كيف يمكن أن يحث هذا؟! إنما تجسَّد الكلمةُ بأن اتخذ جسداً من امرأةٍ، **واتحد به في أحشائها**، ووُلِدَ هو نفسه وبعينه الله المتجسِّد، **دون أن يفقد** بالمرة ميلاده غير المنطوق به من الله الآب، عندما وُلِدَ من امرأة. ولما تجسَّد، سَمَحَ لجسدِهِ أن يتكوَّن حسب القوانين الخاصة بالجسد، وأنا أقصد طريقة الميلاد والنمو. إلَّا أن الطبيعة البشرية لها فيه **شيءٌ خاص**، فهو قد وُلِدَ من عذراء .. وهو وحده الذي **له أُمٌّ لم تعرف الزواج**[1]. وإذ قال يوحنا إنه صار جسداً، فقد أضاف: "وسكن فينا"؛ لكي يعلن أنه بالتجسد وسكناه فينا، لم يفقد شيئاً ما من خواصهِ، بل ظلَّ كما هو.

وإذا قال يوحنا إنه (الكلمة)، سكن، أو (حلَّ)، فإننا نفهم من ذلك أنه **آخر سَكَنَ في آخرٍ**، أي سكنت الطبيعة الإلهية في البشرية **دون أن يحدث امتزاجٌ أو اختلاطٌ أو تغيير**[2] إلى ما ليس هو من طبيعته (الكلمة).

والذي يحل في آخر لا يتحول إلى (طبيعة) الآخر الذي يحلُّ فيه، ولا يصبح مثله .. لأنه إذا حدث هذا، لا يبقى أيُّ مجالٍ للحديث عن **الحلول والسُّكنى**. ومن جهة طبيعة الكلمة والناسوت الذي اتخذه، **فالفروق القائمة تظل كما هي**، لكن المسيح الواحد هو منهما محتفظاً بالتمام –كما قلت سابقاً– بعدم الاختلاط[3]، لأن يوحنا يقول: "وسكن فينا"، وهذا يعني أن

---

(1) هذا بلا شك تعبيرٌ طقسيٌّ، وهو شائع الاستعمال في الشرق. وكلمة "لم تعرف زواج" هنا في الاصل اليوناني تعني الخبرة الداخلية القلبية بجانب الخبرة العملية.

(2) تُعَدُّ هذه التأكيدات ضرورية لفهم نوع الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، فهو ليس مزجاً بين اثنين، أو خلطاً، أو تغيير اللاهوت إلى ناسوت.

(3) يؤكد هنا القديس كيرلس معنى عدم الاختلاط بين اللاهوت والناسوت بأنه احتفاظ الناسوت بكل خصائصه واللاهوت بكل

يوحنا يؤكِّدُ **أن الابن الوحيد المتجسد الذي صار إنساناً هو هو الابن الواحد**. وأنا أرجو أن تفهموا كيف يتوِّج الإنجيلي الإلهي –بحكمةٍ– الطبيعةَ البشريةَ كلها عندما يقول: "**الكلمة سكن فينا**". فهو لا يقول إن تجسُّدَ الكلمة حدث لأيِّ سببٍ آخر، إلَّا **لأجلنا** نحن لكي نغتني بالاشتراك فيه بالروح القدس وننال خيرات التبني.

ولذلك، ففي المسيح، حَدَثَ **اتحادٌ كامل وحقيقي**. أمَّا فينا نحن، فعلى الرغم من أنه (الكلمة) يحل فينا، إلَّا أنه يحل فينا، ليس بجوهره، بل هو حلول النعمة[1]، لأن في المسيح وحده،

خصائصه. والاتحاد هو المسيح الواحد، والشخص الواحد الذي يلائم خصائص ماله من ناسوت ولاهوت.

([1]) استخدم القديس كيرلس كلمة يونانية هامة، وهي Skeitiken (σχετικην) أي حلولٌ بالنعمة، وليس بالجوهر. وعن كيفية حلول الله فينا، نقول: إن الإيمان الأرثوذكسي هو الخبر السار، أي الإنجيل، وهو لا يبدأ بالنفي (راجع قانون الإيمان النيقاوي، فلا نفيٌ فيه). الشركة في جوهر الثالوث هي أولاً: أن نعرف الله كما استُعلِن في الابن المتجسد. ثانياً: أن نتحول بهذه المعرفة والرؤيا إلى ذات شكل وحياة الثالوث، "نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨). والتحول بالمعاينة يؤكِّده يوحنا الانجيلي: "أيها الأحباء نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا ظهر (الرب يسوع) نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١ يوحنا ٣: ١–٢). ولكن شركتنا فيما هو مستعلَن تعني أولاً: أننا لا نقتحم الله ونستولي عليه ونأخذ منه ما نشاء حسب إرادتنا. والسؤال الخبيث جداً عن حلول الله فينا، والذي يحاول إلقاء الرعب في القلوب يكشف عن النزعة العدوانية لأصحاب السؤال. فمن قال منهم إن سكنى الروح القدس فينا يحولنا إلى الله، لديه نزعة استيلائية Possessiveوتدميرية Distractive وكلاهما من مظاهر العدوانية النرجسية Narcissism، هذه النزعة تنفي تماماً كل تعليم عن النعمة. ومَن يفكر بهذا الشكل هو كمن يفصل جسداً عن رأسه، ويكتفي بالرأس أو الجسد، دون الإنسان كله. أما الشركة حسب النعمة، فقد جعلت الآباء يقدمون لنا عبارات تحذيرية تؤكد أن جوهر الثالوث يعلو على الإدراك، وأننا إذا اشتركنا في جوهر الثالوث، فسوف نعرف حقيقة الكيان الإلهي، أي سوف نصبح الله. وهذا مستحيل للأسباب التالية: ١– المخلوق من العدم لا يملك كيانه، وهو محدد Defined بالطبيعة التي خُلِق بها، والتي لا يمكن أن تصبح مثل طبيعة الله؛ لأنها أي طبيعة الانسان، أتت من العدم، فلا يمكن أن تتجاوز الحدود Boundaries التي أُعطيت لها كنعمة من الله، وهي نعمة الصورة الإلهية (تجسد الكلمة فصل ٣ – ٤). ٢– لأن الرب يسوع نفسه –كما رآه يوحنا واسطفانوس بعد صعوده إلى مجده– ظَلَّ متجسداً. حقاً، صار الجسد هو "جسد مجده" (فيلبي ٢: ٢١)، لكنه ظلَّ إنساناً، وسيظل بالطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله إلى الأبد. نحن سنصير مثله، حسب ما أُعلن في التدبير، أي أننا سنبقى بشراً. ٣– الابن المتجسد رأس الخلقة الجديدة (٢كو ٥: ١٧)، ورأس الجسد الكنيسة (كو ٢: ١٩)، هو واحدٌ مع الآب والروح في ذات الجوهر الواحد، جوهر الثالوث القدوس. نحن في المسيح في هذه الحياة المستترة في الله (كو ٣: ٣)، ولسنا في حالة انفصال عن جوهر الثالوث، أي حياة الثالوث. ولكن ما هو متاحٌ لنا، هو ما أُعطي لنا بالابن في الروح. نحن لا نقتحم الحياة الإلهية؛ لأن التعدِّي هو من سمات الطبيعة الساقطة، أمَّا الشركة

حلَّ كلُّ ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي ٢: ٩). ولم يحدث هذا بأي نوعٍ من المشارَكَةِ، أو مجرد صلة مثل لمعان النور على جسمٍ من الأجسام، أو عندما تبعث الحرارةُ دفئها الذاتي في جسمٍ من الأجسام[١]، وإنما حدث اتحادٌ حقيقيٌّ للطبيعة الإلهية غير الدنسة التي اختارت سُكنى لها في الهيكل الذي وُلِدَ من العذراء؛ لأنه **بالاتحاد وحده، يسوع المسيح هو واحدٌ**. وأنا لا أنكر أن **كل ما ذكرناه، يفوق كل التعبيرات البشرية الممكنة**، ولكن لا يجب أن نتوقف عن التأمل والإيمان بسر المسيح بسبب وجود صعوبة مثل هذه. بل ليظل هذا السر –باستحقاق– موضع إكرامنا؛ لأنه كلما كان السرُّ فوقَ إدراكِ كل العقول، وبعيداً عن إمكانية التعبير عنه بكلمات، ازداد إيماننا بعظمته وروعته.

ونحن لا نعلِّمُ بأن الكلمة عندما تجسَّد وصار إنساناً كاملاً، أصبح محدوداً. فهذا هو الغباء بعينه. وإنما نحن نعلِّم بأنه **يملأ السموات والأرض وما تحت الأرض**؛ لأن الله يملأُ كلَّ الأشياء، حتى الكائنات الصغيرة. أمَّا كيف يملأ اللهُ كلَّ الأشياء، فهذا صعبٌ علينا أن نفهمه، بل مستحيلٌ إدراكه. والكلمةُ يملأ كلَّ الأشياء؛ **لأن طبيعته ليست مادية**، ولذلك لا تتجزأ. وعندما أخذ جسداً، أصبح ذلك الجسدُ، جسدَ الكلمةِ، ليس على النحو الذي ننسب فيه الضَّحِكَ للرجلِ، أو الصهيلَ للحصانِ، وإنما على نحوٍ آخر مختلفٍ تماماً. لأنه اتحد بالجسد اتحاداً حقيقياً

بالمحبة وبخضوع هذه المحبة، فهو من سمات الحياة الجديدة. نحن نشترك في حياة الثالوث بالقدر الذي استُعلِن، وما هو متاحٌ لنا، محققٌ وثابتٌ في شركة الابن يسوع المسيح في حياة الآب والروح القدس. التألُّه هو أن نصبح مثل يسوع المسيح؛ لأننا سنأخذ من ملئه (يوحنا ١: ١٨)، وفينا نفس محبة الآب للابن (يوحنا ١٧: ٢٦). ومثال التألُّه هو ناسوت الرب، وهو لم يتألَّه إلَّا بسبب الاتحاد بأقنوم الابن الكلمة، فصار "الجسد المحيي"، وصار بلا ألم وبلا موت، وهذه خاصة بالابن. ونحن نأخذ بكل يقين الخلود وعدم الألم والحياة الأبدية ولكن لا يملك أيٌّ منّا أن يكون "محيياً"؛ لأن هذه النعمة لم توهَب لنا. وهنا نكتفي بأن نشير إلى ما قاله القديس كيرلس الكبير نفسه تحت بند رقم ١٨ في هذا الكتاب رداً على هذه المزاعم، حيث قال: "لا يكفي لمن يسكن الله فيه أن تجعله هذه السكنى إلهاً يُعبَد؛ لأن الله يسكن في الملائكة وفينا نحن بالروح القدس. ومع هذا، فالذين أخذوا الروح القدس، لا يكفيهم هذا لكي يصبحوا بالحقيقية آلهة".

(١) لمعان النور على جسم من الاجسام يعني نوعٌ من الصلة الخارجية المؤقتة. كذلك عندما تبعث الحرارة دفئها في أي شيء قريب من مصدر الحرارة يعني نوعٌ من الصلة الداخلية. أمَّا في المسيح يسوع، فالأمر مختلف، إذ لا توجد صلة أو مشاركة بين اللاهوت والناسوت، وإنما اتحاد. ولعل عبارة كيرلس "بالاتحاد وحده يسوع المسيح هو واحد"، هي مفتاح الفهم المصري لسر التجسد.

وجعله أداةً لإتمام مقاصده في حدود امكانيات الجسد، ماعدا الخطية.

وإذا قيل إن اللهَ الكلمةَ نزل إلينا، فلا يفزعَ أحدٌ ظاناً كيف نزل غيرُ المادي من مكانٍ إلى آخر. ولا يجب أن يظن أحدٌ أنه ينسحب من مكانٍ لآخر، فهو يملأُ كلَّ الأشياءِ. بل علينا أن نفهمَ أن نزولَهُ ومجيئَهُ ليس تنقُّلاً من مكانٍ لآخر، بل **قبولُ الكلمةِ لخدمةٍ مقدسةٍ**، وإرساليةٍ سُلِّمَت بعد ذلك لتلاميذ المسيح، مخلِّصُنا كلنا.

ومرةً أخرى يقول الرسول بولس الإلهي عن المسيح: "لذلك لاحظوا أيها الإخوة شركاء الدعوة السمائية رسول ورئيس كهنة اعترافنا يسوع المسيح" (عبرانيين ٣: ١)، .. **فما الذي علينا ملاحظته** سوى أن الرسول يعلنُ عن خدمةِ المسيح التي أتمَّها في بشريته، لكنه في ذات الوقت، هو بالطبيعة الله، رغم أن الرسول ينسب إليه وظيفة الرسولية! وهذا لا يضاد الحق بالمرة، كما قلت سابقاً، إن الله الكلمة قيل عنه إنه أُرسِلَ من عند الآب. فهو بكل تأكيد، يملأُ الأشياءَ ولا يوجد مكانٌ على الإطلاقِ يخلو منه. ولكننا **نضطر لمثل هذه الاستعمالات**؛ لأننا نريد أن نفسِّرَ الأشياءَ الإلهيةَ بكلماتٍ بشرية، ونريد أن نفهم تدابير الطبيعة العديمة الموت، بمصطلحاتنا المادية.

ومرةً أخرى أقول إن الروح القدس يملأ كلَّ الأشياءِ، إلَّا أن الرسول المبارك يكتب ويقول: "بما أنكم أبناء **أرسل الله روح ابنه** إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب" (غلاطية ٤: ٦). بل أن المخلص نفسه يقول: "من الأفضل لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي. ولكنني متى ذهبت **أنا أُرسله إليكم**" (يوحنا ١٦: ٧). وكل هذا لا يعني انتقال الروح القدس من مكانٍ لآخر[١]. ولكي لا نخطئ في فهم هذه الأمور علينا أن نعود دائماً إلى قاعدة التقوى[٢] لكي نتبع معرفة يقينية، لأننا متى فعلنا ذلك، نفيد أنفسنا بما هو صالح.

---

(١) يشرح القديس كيرلس حلول الروح القدس في مقالته: "العبادة بالروح والحق" على أنه إعلان الروح القدس عن نعمة أو بركة لم تكن موجودة أو ظاهرة. وعلى ذلك كلمة "حل" تعني "أعطى أو منح"، ولا تعني الانتقال من مكانٍ لآخر، لان هذا يخص الطبيعة المادية.

(٢) أي التقليد.

٢٨- كيف نعتقد أن العذراء هي والدة الإله؟

وُلِدَ الكلمةُ من الله الآب بطريقةٍ لا ندركها، بل هي فوق مستوى الإدراك والفهم. وهذا يليق بالطبيعة غير المادية. ولكن الذي وُلِدَ هو من ذات الآب، وواحدٌ معه بالجوهر. لذلك، يُدعى "**الابن**". وهذا الاسم يوضِّح لنا **حقيقة الميلاد الأزلي**. فكما أن الآبَ حيٌّ وكائنٌ منذ الأزل، كذلك المولود منه حيٌّ وكائنٌ معه منذ الأزل على النحو الذي ذكره الإنجيلي الحكيم: "الله الكلمة كان في البدء مع الله" (راجع يوحنا١: ١)، لكنه في الزمان الاخير "لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد وتأنَّس"[1] دون أن يفقد خواصه؛ لأن طبيعته غيرُ متغيِّرةٍ وكائنةٍ إلى الأبد في مجد الله الفائق. لكن، **لأجلنا، وتدبيرياً، قَبِلَ أن يخلي ذاته**، بل وقَبِلَ فقرَنا؛ لأنه وهو الغنيُّ افتقرَ -كما هو مكتوب- حتى نصبح نحن بفقره أغنياء (٢ كورنثوس ٨: ٩). ولذلك، تجسَّد ووُلِدَ من امرأةٍ حسب الجسد. والذي حدث، أنه أخذ من العذراء القديسة جسداً واتَّحد به اتحاداً حقيقياً. لذلك، نعتقد أن العذراء القديسة هي **والدة الإله**، لأنها ولدته حسب الجسد، لكنه مولودٌ في ذات الوقت، من الآب قبل كل الدهور.

والذين يفترضون أن الكلمة ابتدأ أو وُجِدَ عندما صار إنساناً، إنما يفترضون رأياً مضاداً للتقوى، وفي منتهى الفوضى. والمخلِّصُ نفسه يُظهِرُ لأصحاب هذا الرأي غباوتهم، فيقول عن نفسه: "قبل أن يكون إبراهيم **أنا كائن**" (يوحنا ٨: ٥٨). فكيف هو كائنٌ قبلَ إبراهيم، وهو قد وُلِدَ حسب الجسد بعده بأجيالٍ كثيرة؟ في هذا يكفي ما قاله يوحنا الناطق بالإلهيات موبِّخاً أصحاب هذا الرأي: "الذي قلت عنه يأتي بعدي رجلٌ **صار قُدَّامي**" (يوحنا ١: ٣٠). وعلينا أن نكتفي بما ذكرنا، وأن نترك هذا الرأي الغبي جداً لكي نتقدم إلى ما هو نافع.

لا يضطرب أحدٌ عندما يسمع أن العذراء هي والدة الإله. ولا يجب أن تمتلئ النفوس بعدم إيمان اليهود أو بعدم تقوى الأمم، فاليهود هاجموا المسيح قائلين: "لا نرجمك لأجل عملٍ حسن، وإنما لأجل تجديف؛ لأنك وأنت إنسانٌ تجعل نفسك الله" (يوحنا١٠: ٣٣). وكذلك أبناء اليونانيين (الأمم)، عندما يسمعون تعاليم الكنيسة أن الله وُلِدَ من امرأةٍ، يضحكون. وهؤلاء

---

(١) النص مأخوذٌ من قانون الإيمان النيقاوي، وقد اتبع الآباء تقليداً، وهو تأكيد كل ما يعلِّمون به باقتباس كلمات قانون الإيمان.

جميعاً سيأكلون ثمرة عدم تقواهم، وسيسمعون منا "الغبي يتكلم باللوم وقلبه يصوِّر له الأشياء الباطلة" (أشعياء ٣٢: ٦). وسِرُّ المسيحِ واضحٌ، لكنه لليهودِ عثرةً ولليونانيين غباوةٌ (١كورنثوس ١: ٢٣)، أمَّا بالنسبة لنا نحن الذين نعرفه، **فهو سِرُّ الخلاص** الذي يستحق كلَّ إعجابٍ، وأعظمُ من أن يكون موضعَ رفضٍ، أو عدمَ إيمانٍ من أحدٍ.

وإذا كان هناك أحدٌ ما يتجرَّأُ أو يعلِّمُ بأن الجسدَ الترابي[١] هو الذي وَلَدَ الطبيعة الإلهية غير الجسدانية، أو أن العذراء حَبِلَت بالطبيعة التي هي فوق كل الخليقة، فإن هذا هو الجنونُ بعينِهِ. لأن الطبيعة الإلهية ليست من تراب الأرض حتى تُولد منه (من التراب)، ولا تلك الخاضعةُ للفساد[٢] تصبحُ أُمَّاً لعدم الموت، ولا تلك الخاضعةُ للموتِ تلدُ الذي هو حياةَ الكلِّ، ولا غيرُ المادي يصبحُ ثمرةً للجسد الذي بطبيعته خاضعٌ للميلاد، وله ابتداءٌ في الزمان. **الجسدُ لا يمكنُهُ أن يلدَ الذي لا بدايةَ له.**

لكننا نؤكِّدُ أن الكلمةَ صار ما نحن. وأخذَ جسداً مثل جسدنا واتَّحد به اتحاداً حقيقياً، بطريقةٍ فوق الإدراك التعبير. وأنه تأنَّس ووُلِدَ حسب الجسد. **وهذا ليس غريباً لا يُصدَّق أو يحظى بعدم الإيمان** .. أَلَا تُولَدُ النفسُ البشرية وهي من طبيعةٍ مختلفةٍ عن طبيعة الجسد، مع الجسد؛ لأنها –كما قلنا سابقاً–مُتَّحدةٌ به؟ ولا أظنُّ أن أحداً سيفترض أنَّ النفسَ لها طبيعةُ الجسد، أو أنها تتكون معه، وإنما اللهُ –بطريقةٍ غير معروفةٍ– يغرسُها في الجسد وتُولد معه. ولذلك، نحن نحدِّد أن الكائنَ الحيَّ الواحدَ المولودَ هو من اثنين[٣]. هكذا الكلمةُ هو الله، لكنه تجسَّد، وأيضاً وُلِدَ حسب الجسد، وبطريقةٍ بشرية. **لذلك، تُدعى التي ولدته، والدةُ الاله.**

---

(١) الإشارة هنا إلى العذراء مريم، وهذا واضح من سياق الكلام.

(٢) الإشارة هنا إلى العذراء، وهي تمثل البشرية كلها قبل المسيح. ولعل هذا النص بالذات ضد عقيدة الحبل بلا دنس، التي وإن لم تُثَر في زمان الآباء، إلَّا أنها لا تتفق مع ما علَّموا به.

(٣) شاعت في اللاهوت المسيحي نظريتان في أصل النفس البشرية. الأولى، وشاعت في الشرق عند غالبية آباء الكنيسة الشرقية، وهي أن النفس تُخلق ثم تُوضع في الجسد، وهو ما يصرح به هنا القديس كيرلس عامود الدين. والثانية، هي أن النفس تُولد مع الجسد، وتتكون من الوالدين في لحظة تكوين الجسد. وتزعَّم هذا الرأي ترتليان وأغسطينوس، وأصبح هذا شبه عقيدة رسمية في الغرب اللاتيني. وهناك اعتراضات صعبة على النظريتين.

إذا لم تكن العذراء قد ولدت الله، فلا يجب أن نسمِّي المولودَ منها، الله. ولكن، حيث أن الكتب الموحى بها تدعوه الله المتجسِّد، وحيث أنه لا توجد وسيلةٌ أخرى للتجسُّدِ إلَّا الولادة من امرأةٍ، فكيف لا نسمِّي التي ولدته والدةَ الاله؟ وسوف أُبيِّن من الكتب الموحى بها أن الذي وُلِدَ هو بالحقيقةِ، الله.

أقوالٌ عن المسيح

٢٩- "هوذا العذراء ستحبل وتلد ابناً وسيدعون اسمه عمانوئيل"(أشعياء ٧: ١٤). فكيف -خبِّروني- يدعى الذي وُلِدَ من العذراء عمانوئيل؟. وكما قلت سابقاً "عمانوئيل" تعني أن كلمة الله هو بالحقيقة الله، صار مثلنا بسبب الجسد. وقد **دُعيَ عمانوئيل لأنه أخلى ذاته،** ووُلِدَ مثلنا وتحدَّث معنا. لذلك **فهو الله في الجسد.** والتي ولدته بالحقيقة، هي والدة الإله، لأنها ولدته حسب الجسد.

٣٠- يقول النبي: "ويطرحون كلَّ ثوبٍ اقتنوه بالمكر، وكلَّ رداءٍ سيغيِّرونه إذا أرادوا بالدماء. لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً وسيكون الحكم على كتفه ويُدعى اسمه مشيراً إلهاً قديراً" (أشعياء ٩: ٥). ها نحن نسمع أنه يسمَّى ولداً؛ لأنه وُلِدَ مثلنا. لكنه عندما وُلِد، **أشارت إليه السماء بنجمٍ لامع،** فجاء المجوس ليسجدوا له من أقاصي الأرض، وحمل الملائكة الأخبار السارة للرعاة وقالوا لهم: "وُلِدَ لكم مخلِّص"، "وبشَّروا بالسلام وبالإرادة الصالحة للآب" (لوقا ٢: ١١). **وهو أيضاً المشير الإلهي؛** لأنه أعلن لنا عن الإرادة الصالحة؛ لأنه فيه (الابن) سُرَّ (الآبُ) أن يخلِّص الأرض كلها. وفيه وبه يصالح العالم كله لنفسه، لأننا **عندما نتصالح مع المسيح، نتصالح مع الله**[1]. لذلك، هو بالحقيقة الله وابن الله. **وهو مشيرُ الآبِ ورسوله إلينا؛** لأنه هو نفسه علَّمنا ذلك: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الابدية" (يوحنا ٣: ١٦). والابن الوحيد هو ذاك الذي وُلِدَ من العذراء القديسة؛ لأن الكلمة صار إنساناً، وهو الله في الجسد، ولهذا السبب قيل إنه ظهر للذين على الأرض.

---

(1) شرح كيرلس (٢ كورنثوس ٥: ٢٠) في موضع آخر وقال: "الله هو المسيح، الذي إذا تصالحنا معه تصالحنا مع الله" رسالة عن الإيمان الصحيح: ٦٧.

وأخيراً يقول (المسيح): "الذي يؤمن بي له حياة أبدية" (يوحنا ٦: ٤٧)؛ لأننا **به وفيه** نؤمن بالآب. ولذلك قال هو: الذي يؤمن بي لا يؤمن بي، بل بالذي أرسلني، والذي رآني فقد رأى الآب الذي أرسلني" (يوحنا ١٢: ٤٤ – ٤٥).

٣١– "اسمعي لي أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد، من بطن أمي يدعون اسمي الرب" (أشعياء ٤٩: ١). والكلمة هو الله، ولذلك **لا يجهل أنه سيُولَد وسيتجسَّد من امرأةٍ لأجلنا**. وكان الكلمة يعرف أنه سيُدعى المسيح يسوع، لذلك يعلِن لنا الله الآب مسبقاً الاسم الجديد[1] لابنه الذي سيُبارِك في كل أرجاء الأرض (أشعياء ٥٥: ١٥ – ١٦). ولاحظ كيف **يشير إلى أُمِّهِ التي ولدته** .. وحيث أنه الله، فبالحقيقة، **إن التي ولدته حسب الجسد، تُدعى بالحق والدة الإله**. أمَّا إذا لم يكن هو الله كما يتهور البعضُ وفي شّرٍّ يقولون إنه ليس الله، فليمنعوا –لهذا السبب– لقب والدة الإله عن العذراء.

---

(١) نظراً لأهمية هذه الفقرة رأينا اقتباس بعض النصوص من كتابات القديس كيرلس الاخرى، حيث يشرح لنا ما هو الاسم الجديد للابن .. يقول: "ما لم يكن الابن بالطبيعة ما كان قد دعيَ "معنا الله" عندما وُلِدَ من امرأة وأخذ شكلنا. واسم عمانوئيل لم يعطَ لأي ملاك أو لأي مخلوق. بل هكذا سمى الآبُ الابنَ وحده. والنبي القديس هو شاهدنا على ذلك، إذ يقول عن الميلاد الإلهي: "ويدعى بالاسم الجديد الذي سيعطيه الرب له" (أشعياء ٦٢: ٢). واسم الابن الجديد هو بالحقيقة "عمانوئيل"، أي "معنا الله". وقبل أن يأتي إلى العالم كان اسمه الله فقط، وبعد ميلاده من العذراء لا يسمَّى الله فقط، بل "معنا الله"، أي الله المتجسد. لذلك إذا كان الآبُ يسمِّي ابنه الوحيد "معنا الله"، فليخجل الذين –بنفاقٍ، بل وبجهلٍ– يقولون عنه إنه مخلوق؛ لأن من هو بطبيعته الله، لا يمكن أن يكون مجرد مخلوق" (الكنز ٣٢: ٣،٣ أ – ب). وفي مقالة "عن الإيمان الصحيح" يقول: "الاسم الجديد هو يسوع، وقد أعطيَ للكلمة بواسطة الصوت الملائكي" (٢٦ج). وفي نفس المقالة يقول: "قبل التجسد لم يكن كلمة الله يُعرف باسم يسوع، أو المسيح، إلَّا عند الذين وُهبوا المعرفة النبوية وعرفوا أنه يُدعى كذلك في الوقت المعيَّن عندما يتجسد. لذلك، فالاسم الجديد الذي أعطيَ عندما تجسد الكلمة هو يسوع" (١٢٠ج). وفي مقالة أخرى باسم "حوار عن الثالوث" يقول: "اسم الكلمة الجديد الذي أعطيَ في التجسد هو يسوع، وكلمات النبي تدعم ما نقوله: "ويدعون اسمه بالاسم الجديد الذي أعطاه له الآب" (٥: ٥٥ج). وفي الرسالة الرعوية الخاصة بعيد القيامة سنة ٤٢٠ يقول: "متى دُعيَ الكلمة يسوع أو المسيح إلَّا عندما تجسد وتأنس؟ دُعيَ يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وهو المسيح لأنه لأجلنا قد مُسِح، لذلك لا يدعى فقط كلمة الله الآب، كما لو كان بغير جسد، بل سيُدعى يسوع والمسيح؛ لأنه جاء في الجسد، وعنه يقول الرسول: "هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (الرسالة ٧: ١٠١ أ – ب).

٣٢- الابن الوحيد هو الله حتى وإن ظهر في شكل إنسان.

صلَّى سليمان وقال: "الآن أيها الرب إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به داود عبدك. **هل يسكن الله حقاً مع الإنسان على الأرض**" (٢ أخبار ٦: ١٧ - ١٨). لاحظ كيف يتعجب سليمان من تجسد الكلمة. وهو فعلاً شيءٌ عجيب أن يسكن (الكلمة) مع الناس على الأرض. ولكن ما هو العجيب، وما هو الجديد والجدير بالإعجاب والدهشة، إذا ظلَّ الله مع الأشياء التي سُرَّ بها، والتي يحفظها أو التي سيخلقها في المستقبل؟![1]

بالحقيقة هي **أعجوبة فريدة وخاصة** أن يتجسد الله، وأن يسكن مع الناس على الأرض حسب المواعيد التي أُعطيت لداود الإلهي[2]. كما هو مكتوب: "حلف الرب لداود بالحق ولن يرذله أن من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك" (مزمور ١٣٢: ١١). وبالحقيقة عَرِفَ داود أن الله ضابط الكل لن ينكر مواعيده، **لكنه بحث عن المكان الذي سيُولد فيه**، وعن الذي سيخلفه على كرسيه. ولذلك قال: "لا أصعد على سريري ولا أعطي نوماً لعيني ولا لأجفاني نعاساً ولا راحةً لي في مقادسي حتى أجد مكاناً للرب ومسكناً لإله يعقوب" (مزمور ١٣٢: ٣ - ٥). وعندما عَرِفَ بالروح مكان ميلاد الابن الوحيد بالجسد، **بشَّر به** وقال: "ها قد وجدناه في أفراته" (مزمور ١٣٢: ٦)، أي في **بيت لحم** .. وجدناه في الغابة. وأفراته هي بيت لحم بكل يقين؛ لأن النبي يقول: "وأنت يا بيت لحم أفراته" (ميخا ٥: ٢). ولاحظ أن الذي ولد في أفراته يسمَّى "**إله يعقوب**" الذي حلَّ في المسكن (الجسد)، لأنه -هناك- في أفراته، ولدت العذراء يسوع. وفي

---

(١) ما يؤكده القديس كيرلس هنا، هو أن لا يظل الله مع المخلوقات يرعاها ويحفظها، بل أن يأتي إلى علاقةٍ وشركةٍ مع الإنسان باعتباره تاج الخليقة.

(٢) ما أعجب التوافق بين كلمات القطعة الثالثة في ثيؤطوكية الخميس وشرح القديس كيرلس: "أقسم الرب لداود بالحق ولن ينكره إن من ثمرة بطنك أضع على كرسيك، فلهذا لما طاب البارُ قلباً، أن منه يُولد المسيح حسب الجسد، طلب باجتهادٍ أن يجد مسكناً للرب الإله الكلمة وهذا أكمله بسرٍ عجيب، وللوقت صرخ بالروح قائلاً: "إنا قد سمعنا في أفراته. التي هي بيت لحم الموضع الذي تفضَّل عمانوئيل إلهنا أن يولد فيه حسب الجسد من أجل خلاصنا، كما قال ميخا النبي: "وأنتِ يا بيت لحم.." (٥: ٢). إن ترتيب الأفكار والكلمات يجعلني أشعر بأن القديس كيرلس استخدم كلمات الثيؤطوكية أو العكس. لكن هذا التوافق يؤكِّد لنا حقيقة الروح الواحد الذي في طقوس وفي كتابات الآباء.

موضع آخر يسميه داود: "**إله إبراهيم**" عندما يقول: "رؤساء الشعوب اجتمعوا مع إله إبراهيم" (مزمور ٤٧: ٩). ولان داود قد تدرب على معرفة ما سيحدث في المستقبل، رأى بعيني قلبه، وباستنارة الروح القدس "رؤساء الشعوب"، أي الرسل القديسين في طاعة ربنا يسوع المسيح[١]. وهكذا دُعيَ إله إبراهيم وإله يعقوب، ذاك الذي من امرأة. فلماذا لا تُدعى العذراء والدة الإله؟!

٣٣- يقول النبي حبقوق: "يا رب سمعت خبرك فجزعت، وتفكرت في أعمالك وارتجفت، **في وسط الحيوانيين تُعرَف**، وعند مجيء الوقت المعيَّن تظهر، وعندما اضطربت نفسي هل في الغضب ستذكر الرحمة. سيأتي الله من تيمان والقدوس من فاران" (حبقوق ٣: ٢). عندما وُلِدَ من امرأة، عاش حتى صُلِبَ على الصليب المكرَّم[٢]، لكي بنعمة الله يذوق -بالجسد- الموت لأجل كل إنسان (عبرانيين ٢: ٩). **ولكن لأنه الله، قام إلى حياة الأبد**. وعندما احتمل الآم الصليب، **عُرِفَ بين الحيوانيين (اللصين)**.كما قال هو نفسه في موضع آخر لليهود: "عندما ترفعون ابن الإنسان تعرفون إني أنا هو" (يوحنا ٨: ٢٨). لكن كيف يدعوه النبي الله؟ ألا يخبرنا أنه سوف يأتي من تيمان ومن جبل فاران؟ **وتيمان تعني الجنوب**، ونحن نعلم أن المسيح ظَهَرَ ليس في الشمال، بل في الجنوب من اليهودية، **حيث توجد بيت لحم**. لذلك، فالذي يُدعى الرب والله، جاء من الجنوب، أي اليهودية؛ لأنه وُلِدَ في بيت لحم. فكيف لا تكون العذراء مريم التي ولدته، والدة الإله.

٣٤- في سفر التكوين مكتوبٌ: "وبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه وقال له: "أطلقني لأنه طلع الفجر، ولكنه قال: "لا أُطلقك إلَّا إذا باركتني"، وبعدها مكتوبٌ: "وباركه هناك. ودُعيَ اسم ذلك المكان وجه الله، وقال: لأنني رأيت الله وجهاً لوجه وحفظت حياتي. وأشرقت الشمس عندما عبر المكان الذي سمَّاه وجه الله وهو يُخمع على فخذه" (تكوين ٣٢: ٢٤ - ٣١). **إن معنى هذا النص**

---

(١) مزمور ٤٧ من المزامير المعروفة باسم "مزامير الصعود"، وهي تصف صعود المسيح وجلوسه على كرسيه واجتماع الله مع رؤساء شعبه، أي الرسل على جبله المقدس. وجلوس الله على كرسيه على جبله المقدس هو من علامات تجلِّي الله وظهوره للدينونة. ومما لاشك فيه أن وضع هذا المزمور من بين مزامير الساعة الثالثة، حيث نحتفل بصعود المسيح ونزول الروح القدس، هو ترتيب آبائي.

(٢) تعبير طقسي.

سِرِّيٌّ؛ لأنه يشير إلى مصارعات اليهود مع المسيح، لكنهم سوف يستسلمون ويطلبون بركته عندما يعودون إليه بالإيمان في الأيام الأخيرة. لكن لاحظ هذا: **كان يعقوب يصارع مع إنسان،** ومع هذا دعاه يعقوب "وجه الله" .. ليس هذا فقط، بل هو عَرِفَ أنه الله بالحقيقة. ولذلك قال إني رأيت الله وجهاً لوجه؛ لأنه هو "صورة جوهر الآب"[١] (عبرانيين ١: ٣). وفي هذا المعنى تحدَّث الربُّ مع اليهود عن الله الآب: "لم تروا وجهه، وليست كلمته ثابته فيكم لأنكم لا تؤمنون بالذي أرسله إليكم" (يوحنا ٥: ٣٧ – ٣٨). **لكن الله بالحقيقة هو ذلك الإنسان الذي صارع يعقوب.** والكتب المقدسة تقدِّم لنا برهاناً على ذلك: "وقال الله ليعقوب قُم اصعد إلى بيت إيل، **وأقم هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك**" (تكوين ٣٥: ٢٤). لأنه عندما عاد من بين النهرين وكان خائفاً من عيسو، أرسل أولاده فعبروا مخاضة يبوق، وظلَّ هناك وحده، وصارعه إنسانٌ حتى طلوع الفجر (تكوين ٣٢: ٢٤).

٣٥– أخبرنا دانيال النبي عن الرؤيا المخيفة التي رآها وقال: "كنت أرى رؤيا في الليل وإذا مع سحب السماء **مثل ابن الإنسان** أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدامه، فأعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأُمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي لن يزول وملكوته لن ينتهي" (دانيال ٧: ١٣ – ١٤). اسمع كيف أخبرنا دانيال أنه لم يرَ مجرد إنسان، حتى لا يؤمن أحدٌ أن عمانوئيل مثل أي واحد مِنّا، بل قال بتدقيق: "**مثل ابن الإنسان**"؛ **لأن الكلمة هو الله، لكنه صار في شبه الناس ووُجِدَ في الهيئة كإنسان** (فيلبي ٢: ٧ – ٨). لكي ما نعرف أنه هو نفسه الله المتأنِّس، وأنه ليس إنساناً فقط، ولا هو بدون ناسوت. لذلك يقول دانيال إنه قد أُعطيَ الرئاسة والكرامة التي له منذ الأزل؛ لأنه يقول: "وكل الشعوب والأُمم

---

(١) من المعروف أن كلمة *Prosopon* أي أقنوم تعني أصلاً "وجه"، فالوجه هو الذي يعبِّر عمَّا في الشخص. وتعبير "وجه الله" متكرر في العهد القديم، ويعني ظهور الله أو إعلان عن الله. ومن المؤكد أن (عبرانيين ١: ٣) الذي يذكر أن الابن هو صورة جوهر الآب أي وجه الآب، تستند على نص تكوين (٣٢: ٢٤ – ٣١). وهذا ما يقصده الرسول بولس بقوله: "الله الذي قال أن يُشرِقَ نورٌ من ظلمة هو أشرق في قلوبنا نور معرفة وجه الله في يسوع المسيح" (٢ كورنثوس ٤: ٦). وفي ضوء ما قرره القديس كيرلس يظهر لنا أن اقنوم الابن أو وجه الآب، هو التعبير عن الآب. وهذا ممكن في حالة واحدة، وهي أن يكون الابن من ذات جوهر الآب، إذ لا يستطيع أي مخلوق أن يعبِّر عن الآب أو أن يعلنه لنا إلَّا ابنه يسوع المسيح (يوحنا ١: ١٤). راجع:
G.L Prestige. "God in Patristic Thought"3rd.ed 1964,P.157.

والألسنة **تتعبد له**". لذلك، فالابن الوحيد كلمة الله، حتى وهو في الجسد، تعبده كل المخلوقات. **وأيضاً وهو في الجسد، له ملكوت الآب؛ لأنه هو أيضاً ملكوته.** فإذا ولدته العذراء مريم بالجسد، فكيف لا تكون والدة الإله[١]؟!

٣٦- آلام المسيح. كيف أنه من المفيد أن نتحدث بطرقٍ مختلفةٍ عن الواحد بعينه، الله المتجسد دون أن نقسِّمَه إلى اثنين.

يحدثنا القديس بولس عن **الآلام المخلِّصة**[٢] فيقول: "لكي بنعمة الله يذوق الموت" (عبرانيين٢: ٩). وأيضاً: "سلَّمتُ إليكم أولاً ما استلمته أنا أيضاً أن المسيح مات عن خطايانا حسب الكتب وأنه دُفِنَ وقام في اليوم الثالث" (١كورنثوس ١٥: ٣ - ٤).

وكذلك بطرس الحكيم جداً يقول هو أيضاً: "فإذ قد تألم المسيح بالجسد لأجلنا .." (١ بطرس ٤: ١). هكذا نؤمن أن ربنا يسوع المسيح الواحد، أي الله الكلمة، رأيناه في شكلٍ بشري، عندما تجسَّد وتأنَّس وصار مثلنا. ولكن، **كيف ننسب إليه الآلام، وفي نفس الوقت، نؤكِّد أنه كإلهٍ، لا يتألم؟**

الآلام تخص التدبير. والله الكلمة جعل ما يخص جسده، يخصه هو نفسه بسبب الاتحاد الفائق الوصف. **لكنه ظل فوق الآلام** حسب مقتضى طبيعته؛ لأن الله لا يتألم. ولا غرابة فيما نقول؛ **لأن نفس الإنسان تظل فوق الآلام** عندما يتألم جسدها. ونحن لا نعتبر النفسَ بعيدةً عن الآلام، أو أن الآلام عندما تحدث للجسد لا تخُصُّ النفسَ .. لأن الجسد الذي يتألم هو جسدها. وعندما يتألم الجسد، **فالنفس المتَّحدة به،** وهي من طبيعة بسيطة لا تُلمَس، **لا تظل بعيدةً عن الالم؛** لأن الجسد الذي يتألم ليس غريباً عنها بالمرة. هكذا يمكننا أن نفهم آلام المسيح مخلصنا كلنا.

---

(١) لعل القارئ لاحظ أن كيرلس يبرهن على أن العذراء والدة الإله على هذا النحو: (أ) التأكيد على الوهية الابن. (ب) التأكيد على ناسوت الابن. (ج) التأكيد على الاتحاد. وعلى ذلك، يصبح لقب والدة الإله جامعاً لكل هذه المعاني الثلاثة.

(٢) تعبير طقسي.

وسوف استخدم أمثلةً توضِّح لنا جزئياً -كما يرى المرء ظلال شيءٍ- كيف بسبب الاتحاد، اشترك الابن الوحيد في الآلام، ومع ذلك ظلَّ حُرَّاً من الآلام كإله.

أمر الله القدير موسى النبي الحكيم أن يقوم بمعجزات حتى يؤمن إسرائيل أن الله أرسله لكي يحرِّرَهم من العبودية. فقال له الله: "تأخذ من ماء النهر وتسكب على الأرض، فيصير الماءُ الذي تأخذه من النهر دماً على الأرض" (خروج ٢: ٩). ونحن نقول إن الماء هو صورةٌ للحياة، وأنه رمزٌ لميلاد الابن الوحيد من الآب؛ **لأنه مولودٌ من الآب مثل خروج الماء من النهر**؛ لأن الابن من ذات جوهر الآب[١]. وهو الحياة ويحيي كل الأشياء. وعندما يقول الله لموسى: "وتسكب الماء على الأرض، فيصير الماءُ دماً، فقد أشار إلى التجسُّد؛ **لأنه عندما تجسَّد أخذ جسداً أرضياً من تراب الأرض**. ولذلك قيل إنه مات به (الجسد) مثلنا، رغم أنه بطبيعته هو الحياة.

وفي سفر اللاويين يأمر الله بأبعاد الأبرص عن المحلَّةِ؛ لأنه ملوثٌ ونجسٌ، لكن عندما يبرأ، فإنه يتطهر. ولذلك يأمر الناموس الكاهن أن يؤخَذ للمتطهر عصفوران حيَّان طاهران وخشب أرزٍ وقرمز وزوفا ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد في إناء خزف على ماءٍ حيٍّ. أمَّا العصفور الحي، فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحي في دم العصفور المذبوح على الماء الحي، وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره، ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء" (لاويين ١٤: ٤ - ٨). وهكذا، **بدم المسيح الكريم، وبالمعمودية المقدسة، نتطهر ونغتسل** من لطخات القذارة العالقة بنا، ومن موت الشهوات الحسية. وعلينا أن نلاحظ كيف تتحدث الأسفار المقدسة بطريقةٍ خفيَّةٍ، فالأسفار تشبِّهُ المسيحَ بعصفورين -دون أن يعني هذا وجود ابنين- بل الواحد من اثنين، أي لاهوت متَّحد بالناسوت. **العصفوران طاهران**، وهذا يشير إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يخطئ؛ لأن الكلمة قدوسٌ في

---

(١) استعمل القديس اثناسيوس هذا التشبيه اكثر من مرة في الرد على أريوس (راجع الرد على أريوس١: ١٩) وهو يؤكد أن الماء الذي في النهر إذا مَرَّ في قناةٍ متفرِّعةٍ من النهر يظل بطبيعته ذات الماء. هكذا الابن مولودٌ من الآب مثل ولادة نهر من نهر، أي أن الجوهر واحد.

لاهوته وناسوته. ولذلك استخدم الكتاب المقدس الطيور كإشارةٍ ورمزٍ إليه. فارتفاع الطيور في الهواء هو رمزٌ إلى ارتفاعه، وإلى أنه من فوق؛ **لأن المسيح هو الإنسان الذي من السماء** (١ كورنثوس ١٥: ٤٧)، رغم أنه وُلِدَ من العذراء بالجسد .. كيف هو من فوق ومن السماء؟ الله الكلمة من فوق ومن الآب، أخذ جسداً من العذراء القديسة، وجعله جسده الخاص. ورغم ميلاده من العذراء، إلَّا أننا نقول إنه نزل به من السماء، وإنه من فوق "ليس أحدٌ صعد إلى السماء إلَّا الذي نزل من السماء ابن الانسان" (يوحنا ٣: ١٣). **وهذا القول نفهمه على النحو التالي:**

إن الكلمة يعطي جسده من صفاته، حتى أننا يمكننا أن نقول –بسبب الاتحاد– إنه (الجسد) نزل من السماء؛ لأنه (الكلمة) عندما اتحد به جعله واحداً معه[1]، ولاحظ أنه **عندما يُذبح العصفور الأول يُغمَسُ العصفور الثاني في دم الأول دون أن يموت.** ما معنى هذا؟ **إن الكلمة حيٌّ وإن مات جسده. وبسبب الاتحاد، اشترك هو في الآلام؛ لأن الجسد الذي تألم هو جسده هو.** وهو الواحد بعينه، اقتبل هو نفسه الآلام دون أن تتألم طبيعته. ومما يساعدنا على الفهم –بل هو ضروري ونافع لنا– أن نعرف الفرق بين **التعبيرات المختلفة** التي تُستخدَم للحديث عن المسيح الواحد، وهي كلها لا تنطوي على أي نوعٍ من التجزئة، بل تتحدث عن الواحد دون تقسيم، ودون أن تشير إلى ابنين، رغم أن ما حدث للمسيح وكُتِبَ (في الأسفار المقدسة) يبدو ظاهرياً غير منسجم مع بعضه. وهذا ما أعنيه بكل دقة في **الأمثلة الآتية:**

إننا نقول إن الله الكلمة وُلِدَ من امرأةٍ حسب الجسد، رغم أنه هو نفسه يعطي الميلاد لكل البشر، ويدعو الأشياء التي لم تولد بعد إلى ميلادها في الوقت المعيَّن. **فكيف يُولد من امرأةٍ ويخلق الأشياء في ذات الوقت؟** هذا ما أعنيه عن التعبيرات المختلفة التي تصف الواحد بعينه. فهو وُلِدَ عندما صار إنساناً مثلنا. وهو يدعو الأشياء التي لم توجد بعد إلى الوجود لأنه الله.

---

(١) يعود القديس كيرلس إلى ذات العبارة مرةً أخرى: "جعله واحداً مع لاهوته"؛ ليؤكِّد أن الاتحاد تام وكامل حتى أن ابن الإنسان يمكنه أن يقول إنني نزلت من فوق أو من السماء، لأن المتحدِّث هو يسوع المسيح الواحد الذي يمكنه أن يصف نفسه –كواحدٍ غير منقسم– كسمائي وابن الله وابن الإنسان.

وهكذا أيضاً مكتوب عنه: "وكان الصبي ينمو ويتقوى مملوءاً من الحكمة والنعمة" (لوقا ٢: ٤). هو كاملٌ كإله، ومن ملئه نحن أخذنا؛ لأنه يمنح العطايا الروحية للقديسين، فهو نفسه الحكمة ومعطي النعمة. **فكيف ينمو الصبي، وكيف يمتلئ من الحكمة والنعمة؟** هذه هي التعبيرات المختلفة التي تتحدث عن إلهٍ متأنِّسٍ وتصفه بصفاتٍ إنسانيةٍ بسبب الاتحاد الكامل، كما أنه يُوصَف أيضاً بأنه معطي النعمة والحكمة كالله.

وهو يدعي البِكر والابن الوحيد. وإذا فحص أحدٌ ما عن معنى الكلمتين، وجد أنه البكر لأن له إخوة كثيرين. لكنه الابن الوحيد وحده الذي لا إخوةَ له بالمرة. ومع هذا، هو ذاته البِكر والابن الوحيد. **كيف؟** هو البِكر ضمن إخوةٍ كثيرين بسبب الطبيعة البشرية التي أخذها، وهو نفسه الابن الوحيد؛ لأنه وحده مولود من الله الآب.

وأيضاً قيل عنه إنه **تقدَّس بالروح** وأنه أيضاً يقدِّس كل الذين يأتون إليه. اعتمد حسب الجسد، ولكنه يعمِّد بالروح القدس كل الذين يأتون إليه. فكيف هو نفسه يتقدَّس وهو الذي يُقدِّس؟ كيف اعتمد ويعمِّد؟ يتقدس كإنسان، ولذلك يُقدِّس -إلهياً- كل الذين يعمِّدهم بالروح القدس.

هو نفسه **أقام الموتى، لكنه أُقيم من الموت. وهو الحياة بطبيعته، لكنه أُحييَ.** كيف يكون هذا؟ هو ذاته الذي أُقيم من الأموات، وقيل إنه أُحييَ حسب الجسد، إلَّا أنه هو الذي يقيم ويحيي الموتى كإلهٍ. هو يتألم، ولكنه لا يتألم، أي أنه يتألم في الجسد كإنسان، لكنه غير قابل للألم كإله.

هو نفسه اشترك في الصلاة معنا، إذ قال أنتم تسجدون لمن لا تعلمون، ولكننا نسجد لمن نعلم. وهو عَبَدَ معنا؛ لأنه أخذ الطبيعة التي تسجد. لكن إليه أيضاً تقدَّم العبادة لأنه أسمى من كل المخلوقات التي تسجد، فهو الله[1].

([1]) يؤكد كيرلس على بقاء خصائص اللاهوت وخصائص الناسوت في المسيح الواحد. ويجب أن نقرأ هذه السطور فيما سيجيء من شرح. وعموماً، بقاء الخصائص لا يعني الثنائية بالمرة.

لكن لا يجب أن نفصل بين الناسوت واللاهوت، ولا أن نقبل الاعتقاد بأن الناسوت مُتَّصلٌ باللاهوت اتصالاً شرفياً، ولا نقبل القول بأننا نعبد الناسوت معه؛ لأن هذا القول يطفح بعدم التقوى .. بل نعبد الواحد كلمة الله المتجسد الذي تأنَّس وأخذ جسداً اتحد به، **له نفسٌ عاقلةٌ مثل نفوسنا**. وعندما نعبد الابن لا يجب علينا أن نفصل بين الناسوت واللاهوت، أو نعتقد بوجود أقنومين؛ لأن الله ضابط الكل لم يطلب مِنّا نحن والملائكة أن نعبد بِكرَينِ؛ **لأن البِكرَ الذي أُدخِل إلى العالم هو واحدٌ** (عبرانيين ١: ٦). وإذا دققنا النظر في الطريقة التي دخل بها إلينا، سنجدها **سر التدبير الخاص بالتجسُّد**. فلقد أُدخِلَ البكرُ إلى العالم عندما تأنَّس، لكنه في العالم دائماً وفوق كل ما هو أرضي، وهو بالحقيقة في مجد الألوهة. والفرق بينه وبين المخلوقات هو الفرق بين الخالق والمخلوقات؛ لأنه الله بالطبيعة وأسمى من كل الأشياء.

واحدٌ فقط نسجد له –كما قلت سابقاً– حتى عندما تجسَّد وصار البِكر ضمن إخوةٍ كثيرين. واحدٌ هو الذي سجد له المولود الأعمى عندما شُفِيَ بمعجزةٍ؛ لأن الانجيلي يذكر: "ووجده يسوع في الهيكل وقال له: هل تؤمن بابن الله؟ فقال الذي شُفِيَ: ومن هو يا سيد حتى أؤمن به؟" عندئذٍ أعلن المسيح عن نفسه متجسِّداً بالكلمات التالية: "الذي تراه وهو الذي يكلِّمُك هو هو" (يوحنا ٩: ٣٧). وهنا استخدم المسيحُ صيغة المفرد، وهذا يعني أنه لم يسمح بأن نفصل اللاهوت عن الناسوت. لذلك إذا أراد أحدٌ ما أن يصف عمانوئيل بأنه إنسانٌ فقط، فعليه أن يتذكر أن الاسم لا يشير إلى إنسانٍ فقط، بل إلى كلمة الله الذي اتحد بطبيعتنا. والواحد ذاته سجد له التلاميذ عندما رأوه ماشياً على المياه: "سجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله" (متى ١٤: ٣٣).

ونحن لا نقول إننا نعبد الناسوت مع اللاهوت؛ لأن في هذا القول فصلٌ شنيع. فكلمة "مع" تُقال ضمن حديثٍ واضحٍ عن طبيعةٍ مركَّبةٍ سوف تغري بالحديث عن اثنين. وعادةً نحن لا نتحدث عن واحد بعينه ونقول إنه يحيا مع نفسهِ، أو أكل مع نفسهِ، أو صلَّى مع نفسهِ، أو مشى مع نفسهِ .. ذلك أن حرف الجر "مع" متى أُضيفَ، أصبح يعني الإشارة إلى شخصين (أقنومين). لذلك، كلُّ مَن يقول إنه يعبد الناسوت مع اللاهوت يعتقد بدون شكٍّ بوجود ابنين، ويفصل اللاهوت عن الناسوت. والاتحاد نفسه إذا أُخِذَ على أنه مجرد مشاركة في الكرامة أو

السلطان، يصبح اتحاداً غير حقيقيٍّ .. وهذا ما أوضحناه بكلمات كثيرة سابقاً.

٣٧- ضد الذين ينكرون الاتحاد الطبيعي:

البعض يثرثر ويهذر على التدبير الخاص بتجسد الابن الوحيد[١]، ويحاولون أن ينالوا من السر الكريم العظيم والغالي جداً عندنا، وعند الأرواح السمائية .. **هذا السر الذي به نخلص،** يحاولون أن يشوهوا جماله الحق. مع أن الأجدر بهم أن لا يستهينوا بما هو حقيقي، بل عليهم أن يتطلعوا بعيون فاحصةٍ مشتاقةٍ إلى أن تعرف عمق الأسفار المقدسة، حتى يسيروا على ذات

---

(١) عندما كتب كيرلس ضد نسطور عن ضرورة الاعتقاد بالمسيح الواحد وبأهمية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، لخص دفاعه في نقاطٍ اساسية:

(أ) إننا لا يمكن أن نتصل بالله بدون المسيح، وبالتالي يجب أن يكون المسيح في مركز يجعله قادراً على تحقيق العلاقة الإلهية – الإنسانية بين الله والناس، وهذا يتحقق في حالة واحدة عندما يكون المسيح أقنوماً واحداً: الله المتأنِّس.

(ب) إن كل أعمال المسيح الخلاصية تحققت في الجسد، ولم يتم عمل واحد منها خارج الجسد. ويترتب على ذلك أن كل انفصال بين اللاهوت والناسوت يلغي تماماً ونهائياً عمل الخلاص نفسه. ولعل أفضل مثال على هذا هو الإفخارستيا التي تصبح عديمة القيمة بالمرة إذا كان الذي على المذبح جسد المسيح فقط، وليس جسده المتحد بلاهوته. بل إن كيرلس يقول صراحةً: بدون اتحاد اللاهوت بالناسوت نصبح نحن "آكلي لحوم البشر"، ولحم البشر لا يفيد بالمرة، وإنما جسد الابن الوحيد هو الذي يقيم ويحيي. ونفس القياس ينطبق على المعمودية وعلى الصليب والقيامة.

(جـ) من جهة العبادة، أي تقديم الصلاة والسجود، يقول كيرلس: "إنَّا لانعبد المسيح الإله المجرد عن الجسد لأننا لم نعرفه إلَّا في الجسد. ونحن نعبد المسيح الواحد دون أن نفصل بين لاهوته وناسوته؛ لأن كل عبادة تقدَّم للمسيح هي اقترابٌ من الآب من خلال ما حققه يسوع لأجلنا من خلال ناسوت المسيح. حتى الصلاة المشهورة: "أبانا الذي في السموات .. " أصبحت لنا الجسارة على أن نتفوه بها بسبب التجسد عندما "سكن الكلمة فينا"، أي في طبيعتنا (يوحنا ١: ١٤)، فأصبح رأس البشرية الذي من خلاله يمكن أن نتقدم للآب .. وهذا هو معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت، ذلك أن المسيح الواحد هو رأس البشرية؛ لأنه تجسد وهو يقدِّمنا للآب لأنه من ذات جوهر الآب. وعندما نسجد للمسيح، فإننا نعبده لأنه مات عنا (في الجسد)، وقام وصعد إلى مجده (بالجسد)، وأصبحت حياته الإلهية المتأنسة هي وحدها التي تؤهلنا لكل خيرات الدهر الآتي. وهنا يظهر بكل وضوح أن الفصل بين اللاهوت والناسوت هو قضاء على عبادتنا للمسيح، لأننا إذا قلنا إننا نسجد للاهوت دون الناسوت أو مع الناسوت، فإننا هنا نطرح الخلاص الذي قدَّمه لنا المسيح. وعلى حد تعبير القديس كيرلس نفسه: "كل من يطلب الابن الوحيد كإله فقط هو من يسعى إلى احتقار ما فعله الرب لأجلنا". وعلى ذلك فعبادة الابن الوحيد كإله فقط تعني بكل وضوح عدم عبادته؛ لأن تجاهل التجسد لا يعطي لنا الفرصة لكي نشكره (لاحظ أن الإفخارستيا تسمَّى سر الشكر).

الدرب الصحيح تابعين الآباء القديسين الذين علَّموا مستنيرين بالروح القدس، وحدَّدوا لنا الإيمان وقالوا إن الله الكلمة مولودٌ من ذات الجوهر الآب بطريقة لا يعبَّر عنها وأنه به خُلِقَت كل الأشياء ما في السماء وما على الأرض، الذي لأجلنا ولأجل خلاصنا نحن البشر نزل إلى السماء وتجسَّد وتأنَّس وتألم وصعد إلى السماء وسياتي في وقته ليدين الأحياء والأموات[١].

لكن البعض الذين يظنون أنهم متعلِّمون، وهم في الحقيقة مغرورون وقد انتفخوا بالكبرياء، متى سمعوا كلمات الإيمان يهزأون بها ويهاجمون حقائق الإيمان مدَّعين أنها أفكارٌ جنونية. لكننا نحن نعتقد على وجه الخصوص، أن معرفة الحق قد كُشِفَت باستنارة الروح القدس للقديسين، أمَّا هؤلاء المستهزئون الذين يظنون أنهم وحدهم يعرفون ما هو الصواب، هؤلاء لا يعترفون بأن الابن الوحيد ابن الله هو ذاته الله الكلمة المولود من ذات جوهر الآب الذي تألم في جسده لأجلنا، رغم أنه كإله، غير قابل للألم. وهم يدَّعون بأن الكلمة لبس–بشكلٍ مستقلٍ عنه (مثل من لبس الرداء ويصبح الرداء ملتصقاً به فقط)– الجسد الذي وُلِدَ من العذراء القديسة، وأنه نَسَبَ إلى جسده نوعاً من المجد بسبب الصلة التي نشأت نتيجة اتصال الكلمة بهذا الجسد. **وهم لا يؤمنون بالاتحاد،** بل يقولون إن الابن في الجسد حصل من الله على المساواة في الكرامة والسلطان حتى أنه دُعيَ بالأسماء المعروفة: الابن والمسيح والرب. **هذا اختراعٌ لا صحةَ له على الإطلاق.** والإنسان الذي اخترعوه وقالوا إنه تألم وأن آلامه تُنسَب للكلمة مادام الإنسان يسوع المسيح قد اتصل بالله الكلمة .. هذا تعليمٌ بانفصال اللاهوت عن الناسوت، أي بقاء الطبيعتين كلٍّ على ما هي عليه بدون اتحاد.

إنني أُريد أن أكشف ضَعف هذا الرأي على قدر استطاعتي. وسوف أبدأ بشرح **ما تذكره الأسفار الإلهية عن الابن المتجسد:** لقد جاع المسيح، وتعب من الرحلة (المشي)، ونام في القارب مرة، وضربه معذِّبوه، وجلده بيلاطس، وبصق عليه الجنود، وطُعن في جنبه بالحربة، وقُدِّم له الخلُّ الممزوجِ بالمر. بل أكثر من هذا، ذاق الموتَ وتألَّم على الصليب وتحمَّل إهانات اليهود. كل هذه الأمور يعتقد المخالفون أنها حدثت لإنسان، ويمكن أن تُنسب فقط لأقنوم الابن

---

(١) قانون الإيمان النيقاوي.

ذاته. لكننا نعتقد بإلهٍ واحد، الآب ضابط الكل خالق كل الأشياء المنظورة. وأيضاً بالواحد ربنا يسوع المسيح ابنه، **ونرفض أن نقسِّم عمانوئيل** إلى إنسان مستقل عن الكلمة، بل نعترف بأن الكلمة صار إنساناً بالحقيقة مثلنا، وأنه هو نفسه إلهٌ من إلهٍ. وإذ أخذ شكلنا صار إنساناً مثلنا مولوداً من امرأةٍ، وأنه بسبب اتحاده بالجسد تألَّم بكل الإهانات، لكنه احتفظ بما له من عدم الألم لأنه ليس إنساناً فقط، بل هو نفسه الله. وكما أن الجسد هو جسده، هكذا آلام الجسد ورغباته غير الدنسة وكل الإهانات التي وجهها البعض، كل هذا احتمله هو؛ لأنه كان موجَّهاً إلى جسده الخاص به. لقد تألم دون أن يتألم[1]. **ولما وضع ذاته لم يتحوَّل إلى بشرٍ**؛ لأنه احتفظ بخواص طبيعته، وبكل ما يجعله أسمى من المخلوقات. ولهذا وحده يمكننا أن نتحدث عن تواضعه.

وإذا افترضنا أنه تغيَّر أو تحوَّلت طبيعته الإلهية إلى طبيعةٍ جسديةٍ، فإن ذلك يقتضي منّا الاعتراف، بإرادتنا أو بغير إرادتنا أن الطبيعة الإلهية قابلة للتغيير. لكنه ظلَّ غير متغيِّر رغم تجسده؛ لأن من خواص الطبيعة السمائية عدم التغيُّر وعدم الألم، بينما من خواص الجسد التغيير. وعندما أخذ جسداً وأصبح جسده الخاص به لأنه اتحد به؛ لذلك، وبسبب هذا الاتحاد نقول **إنه تألَّم حينما تألَّم جسده**، لكن صفة عدم الألم هي أيضاً صفة حقيقية تخصُّه.

---

(١) تألَّم دون أن يتألَّم Επαθεν αναθως وهي إحدى المقاطع المشهورة في القرن الخامس، وتشرح آلام المسيح على هذا النحو: لقد تألم الرب حقاً، وفعلاً هذه الآلام وقعت على الناسوت؛ لان اللاهوت ليس محسوساً .. ليس له أعضاء وشكل، وبالتالي فهو لا يتألم ولا يخضع للآلام، لكننا إذا قلنا إن ناسوت الابن هو الذي تألم، فإننا بهذه العبارة نتحدث عن انفصال بين اللاهوت والناسوت، لأن الناسوت هو ناسوت الله الذي قَبِلَ أن يحملَ خطايانا وأسقامنا. وعلى حد شرح كيرلس في المقالة الثالثة ضد نسطور: بعد قبول الكلمة الله لجسده ورضائه بالموت على الصليب تعبيراً عن عمق وقوة الاتحاد. كان من الممكن للمسيح أن يمنع الآلام والموت عن جسده، ولكنه لم يفعل لأنه رضي أن ينال منه اليهود والرومان. وهذا الرضا هو تأكيد على وحدانية الأقنوم، ويصبح الصليب والقيامة من أعمال الخلاص الإلهية التي قام بها، ليس جسد المسيح، بل المسيح الواحد من اثنين: اللاهوت والناسوت. وما يؤكده كيرلس هو أن الشخص الواحد الذي جمع في شخصه اللاهوت والناسوت كان صاحب القرار بالرضا بالموت على الصليب، القرار أو الإرادة هو قرار المسيح الواحد والرب الواحد. ولكن في الرب الواحد ما لا يقبل الآلام، أي اللاهوت مثلما يموتُ شهيدٌ محترقاً بالنار .. فإن الجسد يتعذب أمَّا الروح فتظل بعيدة عن الآم الحريق، وأحياناً تسمو الروح على الآلام وتسبِّح وتشكر كما حدث لإستفانوس شهيد المسيحية الاول والشهيد بوليكاربوس.

وإذا كان عمانوئيل قد تمجَّد بالألم، كما قال هو نفسه عندما جاء لكي يتألم على الصليب المكرَّم: "الآن ابن الإنسان يتمجد" (يوحنا١٣: ١٣)، فلماذا لا يخجل الذين ينسبون مجد الألم إلى إنسان له مجرد صلة شرفية تجعل له كرامة الكلمة؟ لأنه –حسب ظنِّهم الخاطئ– يعتقدون أن الابن حسب إرادة الآب ومسرته الصالحة، اتصل بإنسانٍ، وجعل هذا الإنسان مساوياً له في مجده، وسَمَحَ لهذا الإنسان أن يصبح المسيح وابن الله والرب. الاستنتاج المباشر لمثل هذا التعليم الخاطئ أن الكلمة لم يتجسد ولا تأنَّس بالمرة. وهذا يجعلنا نعتبر معلمي المسكونة القديسين، معلِّمين كذبة. وإلَّا دَعوا أصحاب الرأي المخالف يبرهنون لنا أن مجرد اتصال بين الكلمة وانسان (أي مجرد الاتصال) له قوة وفاعلية التجسُّد! وإذا ظنُّوا أن استنتاجنا هو غير ما يعلِّمون به، فلماذا لا يتحدثون عن التجسد؟ ولماذا يصفونه بأنه مجرد اتصال بين اثنين؟ أليس من الصواب أن يقولوا إن كلمة الله الآب اتحد بإنسانيتنا؟ وهكذا نعتقد أنه في جسده الخاص قد تألم لأن الآلام تخص الناسوت، بينما اللاهوت هو فوق الآلام.

لكن طريقتهم في فهم آلام المسيح، وهي مجرد نسبة الآلام له، لا أعرف كيف اخترعوها، لأنهم بهذه الوسيلة **قد سلبوا من عمانوئيل مجده**[1] وجعلوه مثل باقي الأنبياء. هذا فعلوه بكل يقين، **وهذا ما سوف أُبرهن عليه من الأسفار الإلهية**.

تذمَّر الشعب على موسى وهرون في البرية: "ليتنا مُتنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع" (خروج ١٦: ٣)، وكان على موسى الحكيم أن يسألهم: "لماذا تتحدثون بصيغة الجمع: "نحن"؟ مَن نحن؟ أنتم تتذمَّرون ضد الله وليس ضدنا نحن، أي أنا وهارون. لأن الله ضابط الكل كان يحكم ويملك في العهد القديم شعب إسرائيل من خلال الأنبياء، حتى رفضوا مُلك الله وتذمَّروا ضد صموئيل (١ صموئيل ٨: ٥٠)، وطلبوا مَلِكاً يملك عليهم. وإذ حزن النبي جداً قال له الله: "اسمع لصوت هذا الشعب لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي قد رفضوا لكي لا أملُك عليهم" (١ صموئيل ٨: ٧). وفي موضع آخر قال المسيح أيضاً

---

(1) المجد هو الآلام كما هو واضح في العهد الجديد، وبالذات إنجيل يوحنا. وكان اقتبال عمانوئيل للألم دليلاً على محبته غير المحدودة، وصارت الآلام هي وسيلة التعبير عن ظهور محبة الله أي مجد الله.

للرسل القديسين: "الذي يقبلكم يقبلني" (يوحنا ١٣: ٢٠). ووعد أنه سوف يخاطب الرحماء الذين سيقفون أمام كرسيه: "تعالوا إليَّ يا مباركي أبي خذوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم" (متى ٢٥: ٣٤)، وإنه سوف يعترف بهم كخاصته. والذين سلكوا طريق البر، وكانوا مترفقين بالآخرين: "ما فعلتموه بأحد هؤلاء الصغار فبي قد فعلتم" (متى٢٥: ٤٠).

وفي كل الأقوال السابقة، واضحٌ كيف ينسب كل شيء لصاحبه. فشعب إسرائيل كان يتذمَّر ضد موسى وهرون، إلَّا أن الأمر نُسِبَ لله رغم أن موسى وهرون هم بشرٌ مثلنا. وكذلك الذين كانوا مترفقين ورحماء مع الآخرين، هؤلاء نُسِبَت أفعالهم للمسيح نفسه لأنها كانت موجَّهةٌ إليه، رغم أن ما فعلوه كان مع بشرٍ مثلنا. فهل هذا هو الذي يقصدونه بالحديث عن انتساب الآلام للكلمة؛ لأنه (الكلمة) كان على صلةٍ بإنسانٍ يتألم؟ إذا صحَّ هذا، فلماذا لا يُحسَبُ هذا المتألِّم مجرد إنسان ولا شيء غير إنسان؟ وإذا صحَّ هذا فإن عمانوئيل ليس الله بالحقيقة، ولا الابن الوحيد، ولا بالطبيعة الله. وفي الأمثلة السابقة حُسِبَت أعمال البشر الموجَّهة لموسى وهرون موجَّهةٌ ضد الله، وكذلك أعمال القديسين الذين ترفَّقوا ورحموا الجوعى والمرضى حُسِبَت أعمالهم على أنها موجَّهةٌ للمسيح. إلَّا أنه لا موسى ولا هرون ولا الرحماء أكرمهم الكلمة وجعل أيَّاً منهم شريكاً ومساوياً له في الكرامة.

وإذا قالوا إن هذا الإنسان وحده (المسيح) هو الذي نال الكرامة والمساواة. فماذا ستقولون عندما ترون إله ومخلص الكل يجلس ويدين، ليس حسب الظاهر، بل بالعدل (يوحنا ٧: ٢٤)؟ لماذا يجلس هو وحده مع الآب؟ وكيف سيأتي كديانٍ، ومعه الملائكة تخدمه؟ لماذا نعبده هو وحده، ومعنا كل الأرواح السمائية؟ إن الهراطقة يوافقون على ما نقوله الآن، ويعترفون أنه حقٌ، أي أن الآلام لم تلمسه كإله، لكنهم مخطئون جداً في فهمهم لآلام المسيح[١].

---

(١) من المعروف أن الآباء الاسكندرية كانوا دائماً يحتفظون بأقوى البراهين حتى نهاية المقالة أو الحوار تمسُّكاً بالمبدأ الإنجيلي أن تُعطى الخمر الجيدة في نهاية المأدبة (يوحنا٢: ١٠)، وهو رمزٌ لنهاية العالم المجيدة وراحة الملكوت الأبدي، وما سجَّله كيرلس هنا هو تأكيد على أن ما يحدث يمكن أن يُنسب لله باعتبار أن الله هو الذي يضبط ويملك وسيدين. لكن في الواقع لا تمس هذه الأعمال الله نفسه؛ لان اللاهوت فوق الالام. ولكن عندما تجسد الله، صدرت منه تصريحات تؤكد ألوهيته ومساواته الآب، هنا

من كلِّ هذا يظهر لنا أنه وإن كان الكلمة قد تجسَّد، إلَّا أنه وهو في الجسد لم يكن مثل الباقين (أي الأنبياء .. إلخ). ونحن يا سادة نؤمن بالاتحاد بين الكلمة والناسوت، ونرى أن الآلام تخصُّ الناسوت، ولكنه غير قابل للآلام كإله. وإن كان قد تجسَّد وصار مثلنا، إلَّا أننا نعترف بأُلوهيته ومجده الفائق وعطاياه الإلهية.

ونحن نضع الاتحاد كأساس للإيمان. ونعترف بأنه تألم في الجسد، ولكنه ظلَّ فوق الآلام؛ لأن عدم التألم من طبيعته. وعلينا الاحتراس من فصل اللاهوت عن الناسوت، ومن التقسيم إلى طبيعتين، أو فصل كل طبيعة عن الأخرى، لأننا إذا فعلنا ذلك، ونسبنا الآلام إلى جسده –الذي جعله جسده الخاص– فإننا نضع الذي وُلِدَ من العذراء القديسة، أي عمانوئيل الذي يعني اسمه "معنا الله"، في ذات مقام موسى وهارون.

وعلى الرغم من أنه يقول من خلال الأنبياء: "بذلت ظهري للضاربين. وجهي لم أستر عن العار والبصاق" (أشعياء٥٠: ٦)، وأيضاً: "ثقبوا يديَّ ورجليَّ وأحصوا كل عظامي" (مزمور ٢٢: ١٦ – ١٧)، "وضعوا في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلًّا" (مزمور ٦٩: ٢١)، فإننا نخصِّصُ كل هذه للابن الوحيد الذي تألم تدبيرياً في الجسد، حسبما تعلِّم الكتب المقدسة: "لأننا بضرباته شُفينا.." (أشعياء٥٣: ٥). ولكننا نعترف أنه غير قابل للألم بالطبيعة. لذلك، كما قلت سابقاً، هو نفسه إلهٌ متأنس، والآلام تخصُّ الناسوت، أي تخصُّه هو، لكن من حيث هو إله، هو غير قابل للآلام.

يدافع كيرلس بآخر براهينه على أهمية الاتحاد، ويرتِّب أفكاره على هذا النحو: ١– كلُّ ما يحدث للبشر يمكن أن يُنسب لله.٢– لكن البشر يظلون بشراً مثل موسى وهرون وصموئيل وقديسي العهد الجديد.٣– الله فوق الآلام، ولا يمكن أن تمسَّه الآلام.٤– عندما تجسَّد أظهر بكل وضوح، أنه ليس مجرد بشر مثل الأنبياء، بل الله الكلمة.٥– إذن كيف نفهم آلامه؟ إنها ليست شيئاً يُنسب له كما تُنسب أعمال البشر لله.٦– بل شيئاً يخصه هو كأقنوم واحد تألم جسده وقَبِلَ هو أن يتألم، أي أن حلول اللاهوت في الناسوت هو اتحادٌ جَعَلَ الابن الوحيد شخصاً واحداً غير منقسم.

هذا هو الاعتقاد الصحيح الذي يجعلنا أتقياء، وهذه هي التعاليم الأرثوذكسية التي تجعلنا نتقدم وننمو ونسعى إلى جائزة دعوتنا العليا (فيلبي ٣: ١٤) في المسيح يسوع، الذي به وله مع الآب، المجد مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين (أه)[١].

بركة الآباء أثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس تشملنا جميعاً.

(١) تمت الترجمة في ١٠ يناير١٩٧٢، والمراجعة في أغسطس١٩٧٣، و٢٣ مايو١٩٧٤، و١٧ نوفمبر١٩٧٤. ولا أستطيع أن أفي الذين ساعدوني في تقديم النص العربي حقهم، لكن الله هو الذي سيكافئ كل واحد منا.**(جورج حبيب بباوي)**